كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

العروة الوثقى

لا انفصام لها

لمدير سياستها

السيد جمال الدين الافغاني

ومحررها الاول

الشيخ محمد عبده

(القسم الثاني)

١٣٢٨هـ

طُبعت بحسب النسخة الاصلية

دون تبديل او تصحيح

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٠٤/ ٩٦٢

أ ٧٧٢ الافغاني، جمال الدين

العروة الوثقى لا انفصام لها/ جمال الدين

الافغاني، محمد عبده. – ط١. بغداد:

مطبعة الرفاه، ٢٠٢٣م.

ق٢ (٢٢٨ ص) ؛ ٢٤ سم.

١. مصر – تاريخ – الاحتلال البريطاني

٢. السودان –تاريخ أ. عبده، محمد (م. م.) ب. العنوان

م. و.

٢٠٢٣/ ١٦٨٥

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٦٨٥ لسنة ٢٠٢٣ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-38-0

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

مطبعة الرفاه 07902823204

لمدير سياستها

السيد جمال الدين الافغاني

العروة الوثقى

لا انفصام لها

ومحررها الاول

الشيخ محمد عبده

طبعت على نفقة حسين محيي الدين الحبال

حقوق اعادة الطبع محفوظة له

طبعت بمطبعة التوفيق في بيروت لصاحبها = نسيب صبرا سنة ١٣٢٨

القسم الثاني

من العروة الوثقى

باريس في يوم الخميس في ١٠ شعبان سنة ١٣٠١ و ٥ يونيه سنة ١٨٨٤

هذا ما ساقت اليه الحوادث المصرية وهي مفتاح الكوارث الشرقية وفيها مغلاقها · العظام من الدول في يقظة لا سنة معها وحركة لا فتور فيها مفاوضات متواصلة بينها قبل انعقاد المؤتمر ومجادلات متلاحقة يداب فيها السياسيون من كل امة بعضها بالمراسلة وشيء منها بالمشافهة · كثرت خلوات السفراء من كل دولة مع نظار الخارجية من سواها يتهامسون ويتغامزون ويسرون خلاف ما يعلنون ويذهبون الى ما لا يقصدون وقد حملق كل بصره للاخر لعله يلمح من كان وجهه ما ينبي عن مضمرات سره ويصوب كل فكره الى ما يريد الاخر من قوله عسى ان لا يفوته شيء مما ربما يعتل به وجل ما انصرفت اليه قواهم تمثيل الرغائب وتخييل المطامع في صور ابعدها عن الحقيقة اقربها الى الخيال · يعظمون الحقير ويحقرون العظيم ويجسمون المرهوم ويضلون عن المعلوم ويقربون البعيد ويبعدون القريب يذهب كل بصاحبه الى رياض من الاماني باهرة الانوار بزهور الامال وما نبت بهارها الاعلى حبائل من المكر وفخاخ من الخديعة حتى اذا راقه المنظر

وخطا خطوة سقط من حيث لا يشعر . هذا يسهل صعباً والاخر يوعر سهلاً وكل يتبع لحاظ رصيفه اذا احس منه لمحا لمقصده ابرز له الوانا من الفوائد الموهومة ليستلفته عن مرامه واذا شعر منه بفكر يوصله الى ما يمسه فتح عليه ابواباً من الفزع ليزعجه عما يطلبه ويشوش عليه سيره ويقطع سبيل فكره . منهم من يكسب الاصدقاء بمال غيره ومنهم من يستفيد الرفقاء بكف شره . ومن الناس اقوام آخرون عَلَى غوارب امواج الحوادث نائمون تقذفهم كريبة وتتلقفهم اخرى وهم عنها غافلون زلزلت بهم الارض زلزالها ودهمتهم الخطوب بارزائها وتوالت عليهم المزعجات وتناولتهم عواصف المفزعات وهم في سكتة تخيل لناظرها انهم على بساط الراحة مطمئنون والمقبل عَلَى الفوز من هولاء واولئك انما هو احزمهم رايا واثبتهم عزيمه واشدهم بشونه بصيرة .

يقول الانكليز انا عدونا عَلَى الهند من زمان طويل فاغتصبناه وحقت لنا الملكية عليه بما هو مقرر في شرائع القوة وقوانين التغلب . واين ديارنا في بريطانيا من هذا الملك العظيم في شرقي اسيا . المسافات طويلة والشقة بعيدة فلا بد ان يكون لنا في كل مكان موطى لاقدامنا لنحفظ باملاكنا فلنا حق فى اغتصاب جل العالم لاجل الهند خصوصاً القطر المصري فان به السبيل التي لا يماثلها سبيل وليس لنا عنها غنى وكنا في تطلع اليها من زمن قديم وكثيراً ما تمسكنا بحبال من

الوسائل اليها فرثت في ايادينا بقوة حكام تلك البلاد حتى هيأت لنا حوادث السنين الاخيرة ما احلنا دارهم واقرنا في قراراهم ٠ انا ذهبنا لتقرير توفيق باشا وتثبيته على كرسي الخديوية المصرية الا انه بقتال ونزال فلا تختلف صورته عن صورة الفتح فلنا حق التملك في تلك الاقطار وقد فهم الناس ان مسيرنا الى مصر كان لغاية اقرار الراحة وازالة الاختلال وكاننا صرحنا بذلك عند عزمنا عليه لكن الغرض الحقيقي انما هو تامين طريق الهند فتسنى لنا ما قصدنا بحلول عساكرنا في وادي النيل فثبتنا فيما اصبنا وليس لنا ان نتركه بعد الوصول ٠ وحيث اننا عقدنا العزم على البقاء في مصر واضربنا عن اخلائها لزمنا ضمانة الديون المصرية وحملها ثقيل على كواهلنا فعلى جميع الدول ان تمدنا بالمساعدة وتكون لنا عونا عَلَى تنقيص الفوائد ولا نحب ان تكون مذاكراتها معنا الا في المالية خاصة فانا لا نرجو من مفاوضاتها فائدة الا فيها اما سائر الشؤن فعلينا تدبيرها والينا مصيرها هذه اقوال تصدر عن آمال يمدون اسبابها الى برلين ويرجون ان تكون مواصلها ومعاقدها في تلك المدينة عاصمة الالمان ٠

اما البرنس بسمارك وهو مدير السياسة في اوربا وبيده زمامها فيرى ان هذه فرصه ينتهزها ليستفيد صديقاً وينكي عدواً وليست له علائق سياسية تحمله عَلَى المدافعة عن مصر ولا منافسة له مع الانكليز تبعثه عَلَى معاكستهم بل له اليهم حاجة في ضمهم اليه وابعادهم عن

فرنسا لتكون منفردة بين الدول لا حليف لها وقد تكون له من صلة الانكليز مارب اخرى سوى قطع فرانسا عن الحلفاء ينالها يوم الحاجة اليها وما هو منه ببعيد فماذا يضره اذا ادخر عوناً واساء عدواً والنفقة على خزينة غيره . نعم ربما يظن ان بسمارك يمنعه عن مثل هذه المعاملة رعاية جانب حلفائه من النمسا وايطاليا لما لهم من المصالح في البحر الابيض ويصعب عليه ان يصيب بسياسته الجمع بين مراضاة انكلترا لنيل مصافاتها وبين التمسك بعهوده مع ذوي حلفه الا انه قد يسهل عليه التخلص من هذا المضيق بالاشارة الى طرابلس الغرب وبلاد الارنوط والايماء الى الاراضي البلكانية وسلانيك ويجلوها لانظار معاهديه فيسكن جاشهم ويطمن خاطرهم فيستثبت بذلك موالاة الدولتين ويقلم اظفار الروسية من اوربا الشرقية ويضيع مصالح فرانسا في بلاد المشرق عموماً ومصر خصوصاً وفي كل ذلك الربح له والخسارة على غيره وليست هذه اول فعلة فعلها بسمارك او يفعلها فهي شرعته التي يرد اليها ويصدر عنها من يوم معاهدة برلين الى هذا الوقت .

وفرانسا واقعة بين مراوغات الانكليز ومكائد بسمارك . لها حقوق سابقة في البلاد المصرية كاد يمحى اثرها بمداخلة الانكليز وبها حاجة شديدة لعلو الكلمة في طريق منشأتها ببلاد الصين والبحر الهندي ومداغسكر . لهذا تبذل الجهد لاجلاء العساكر الانكليزية عن مصر وتخفيض سلطة الانكليز فيها ويوجد لها عون من دولة الروسية ولها من

المنعة ما لو ايدته افكار المصريين واراء ذوي العزيمة من رجالهم وميل افئدتهم لمكنها من تخليص مصر وانتزاعها من ايدي الانكليز سعياً في حفظ مصالحها ووقاية حقوقهاو هذا مما يؤيد سياسة الدولة العثمانية ويشد عضدها في مدافعة الانكليز ومطاردتهم من بلادها فللدولة العثمانية ان تظهر عزمها في هذه الاوقات لتستنقذ ممالكها من طمع الطامعين وتعيد ولايتها عَلَى الاقطار المصرية خالصة لها من سلطة المعتدين وان جميع المسلمين ينتظرون منها الحذق في هذه المسئلة ولهم فيها الامل القوي والثقه الكاملة ورجاؤهم ان لا تفوتهم هذه الفرصة بدون ان ينالوا بها حظهم من الغنيمة وليس على الدولة من باس اذا طالبت الانكليز برد حقوقها كافة فانهم بالنسبة اليها اضعف من ان يجاهروها بالعدوان وانا نكرر ما قلناه سابقاً من ان الانكليز يستحيل عليهم ان يعلنوا عَلَى الدولة العثمانية حرباً خصوصاً في هذه الاوقات التي اصبحت فيها دولة الروسية متاخمة لمملكة الافغان فان اول اشاعة لهذه الحرب توقد لهيب الثورة في عموم الممالك الهندية وهذا جلي عند كل انكليزي * ان التغافل والوهن ربما يوسعان مجال الطمع فيفتح باب المسئلة الشرقية او يكون لها استعداد قريب وليس للمصريين في طورهم هذا ان يركنوا الى من ليس من ابناء جلدتهم فان النغرة التي تحمل عَلَى الحمية تكاد ان تكون منحصرة بحكم الطبيعة في ابناء الوطن فلا ترجى من غيرهم فعلى العقلاء من اهالي مصر ان يسارعوا

الى معاضده الدولة العثمانية والاتحاد معها على تخليص بلادهم مستعينين بافكار الدول التي تقضي عليها مصالحها بالسعي في انقاذها واعادة شأنها الاول وتحقيق ما يقال من ان مصر للمصريين * وبالجملة فالاطماع فغرت افواهها والافكار في اضطراب شديد وظنون الناس شتى فمن قائل ان المؤتمر لا ينعقد لتعسر الاتفاق بين فرانسا وانكلترا على القواعد الاساسية للمداولة فيه ومن قائل انه ينعقد على ان يضع مصر تحت حماية عموم الدول ويقرر انشاء مراقبة عمومية مع بقاء العساكر الانكليزية مدة سنتين وعلى اي حال فالرزية انما تصيب الغافل والسوء انما يحيق بالمتساهل والجبان محروم من حقوقه والعامل بيد غيره خاسر فعلى المصريين والدولة العثمانية ان يظهروا الشهامة والاقدام ويرفعوا علم الهمة ابقاء لحياتهم وصوناً لشرفهم والامر لله يفعل ما يشاء ·

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً

امران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة ويهدى اليهما الدين تارة اخرى وقد تفيدهما التربية وممارسة الاداب وكل منهما يطلب الاخر ويستصحبه بل يستلزمه وبهما نمو الامم وعظمها ورفعتها واعتلاؤها* وهما الميل الى وحدة تجمع والكلف بسيادة لا توضع · واذا اراد الله بشعب ان يوجد ويلقى بوانيه (يثبت ويقيم) الى اجل مسمى اودع في صاصته (اصوله) هذين الوصفين الجليلين فانشاه خلقا سويا ثم

استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهي اجله ٠

كل امة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لتنال منها بالغلب ما تنمو به بنيتها و يشتد به بناؤها فلا بد يوماً ان تقضم وتهضم وتضمحل ويمحى اثرها من بسيط الارض ٠ ان التغلب في الامم كالتغذي في الحياة الشخصية فاذا اهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو ثم ارتدت الى الذبول والنحول ثم افضت الى الموت والهلاك٠ وليس من الممكن لامة ان تحفظ قوامها و تصول على من يليها لتختزل منه ما يكون مادة لنمائها الا وأن تكون متفقة في تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها٠ اذا احسست من امة ميلاً الى الوحدة فبشرها بما اعد الله لها في مكنون غيبه من السيادة العليا و السلطة على متفرقة الأمم ٠ اذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا احوال الشعوب في وجودها وفنائها وجدنا هذه سنة الله في الجمعيات البشرية حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها في الغلب وما انحط شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم الا عند لهوهم بما في ايديهم وقناعتهم بما تسنى لهم ووقوفهم على ابواب ديارهم ينتظرون طارقهم بالسوء وما اهلك الله قبيلا الا بعد ما رزئوا بالافتراق وابتلوا بالشقاق فاورثهم ذلاً طويلاً وعذاباً وبيلاً ثم فناءً سرمدياً ٠

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من افراد الامة بمنافعها ومضارها وشعور جميع الاحاد في جميع الطبقات بما تكسبهُ من

مجد وسلطان فيلذ لهم كما يلذ اشهى مرغوب لديهم وبما تفقده من ذلك فيالمون له كما يالمون لاعظم رزء يصابون به وهذا الاحساس هو ما يبعث كل واحد علَى الفكر في احوال امته فيجعل جزءًا من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسودد وما يدفع عنها طوارق الشر والغيلة ولا يكون همه بالفكر في هذا اقل من همه بالنظر في احواله الخاصة ثم لا يكون نظرا عقيماً حائراً بين جدران المخيلة دائراً على اطراف الالسنة بل يكون استبصاراً تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر علَى استكماله بما يمكن من السعة وما تحتمله القدرة على نحو ما يكون في استحصال مواد المعيشة بلا فرق بل تجد الانفس ان شأن الامة في المكان الاول من النظر والدرجة الاولى من الاعتبار والشؤن الخاصة في المنزلة الثانية منهما · ولا تقف فيما تجد عند جلب المصالح ودرء المفاسد لاوقاتها الحاضرة بل ياخذ العقلاء منا سبلا من التفكير ويخترطوا سيوفاً من الهمة ليصيبوا من سعيهم شوارد من القوة ونواد من المكنة ويستخرجوا دفائن من الثروة فيجمعو ذلك للامة لصيانة حياتها الى حد العمر اللائق بها كما يسعى حازم جهده لتوفير ما يلزم لمعيشته ومايطمئن به قلبه في دفع حاجته مدة العمر الغالب بل يزيد عليه ما فيه الكفاية لابنائه من بعده · وان الدور الاول من اعمار الامم لا ينقص عن خمسة قرون ثم تتلوه سائر الادوار واولها اقصرها وهو سن الطفولية وبدء الكمال فيما يليه فما ارفع همم العقلاء في الامم المستبصرة ·

اذا بلغ الاحساس من مشاعر افراد الامة الى الحد الذي بيناه رأيت في الدهماء منهم والخاصة هما تعلو وشيما تسمو واقداماً يقود وعزماً يسوق كل يطلب السيادة والغلب فتتلاقى هممهم وتتلاحق عزائمهم في سبيل الطلب فيندفعون للتغلب عَلَى الذين يلونهم كما تندفع السيول عَلَى الوهاد ولا تقف حركتهم دون الغايه مما نهضوا اليه ويكون نزوهم عَلَى الامم بعد الغلب الاول تدفقاً من الطبع لايحتاج الى فكر وترويه الا في اعداد وسائل الفوز والظفر

هذان الامران الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان من اركان الديانة الاسلامية وفرضان محتومان عَلَى من يستمسك بها ومن خالف امر الله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزى في الدنيا والعذاب في الآخرة . جاء في قول صاحب الشرع ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وان المؤمن ينزل من المؤمن منزلة احد اعضائه اذا مس احدهما الم تأثر له الاخر وجاء في نهيه لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخواناً . وانذر من شذ عن الجماعة بالخسران والهلكة وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب .

هذا كله بعد ما امر الله عباده بالاعتصام بحبله ونهاهم عن التفرق والتغابن وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد ان كانوا اعداء ونطق الكتاب الالهي بانما المؤمنون اخوة وطلب من المخاطبين بآياته ان يبادروا باصلاح ذات البين عند التخالف ثم شدد في وجوب الاصلاح وان ادى الى

مقاتلة الباغي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما عَلَى الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وانما امر الله الدخول فيما اتفق عليه المؤمنون وتوحيد الكلمة الجامعة · ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات · وتوعد الكتاب الاقدس كل من انحرف عن سبيل المؤمنين واوعده بالعقاب الاليم فحكم بان من يتبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى و يصله جهنم وساءت مصيراً · وفي امره الصريح ايجاب التعاون عَلَى البر والتقوى ولا بر احق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق واعلاء منار الامة واخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ان يد الله مع الجماعة وكفى بالقدرة الالهية عوناً اذا صح الاجتماع وصدقت الالفة وقد بلغت مكانة الاتفاق في الشريعة الاسلامية اسمى درجة فى الرعاية الدينية حتى جعل اجماع الامة واتفاقها على امر من الامور كاشفاً عن حكم الله وما في علمه واوجب الشرع الاخذ به على عموم المسلمين وعد جحوده مروقاً من الدين وانسلاخاً عن الايمان ومن عناية الشارع بامر الاتفاق قوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى حلف الفضول لفعلت (حلف الفضول ما كان من هاشم وزهرة وتيم حيث وفدوا على عبدالله بن جدعان وتحالفوا على ان يدفعوا الظلم ويأخذوا الحق من الظالم وسمي حلف الفضول لانهم تحالفوا على ان لايدعوا عند احد فضلاً يزيد عن حقه ويكون نواله بالظلم الا اخذوه منه وردوه لمستحقه) فهو من حلف الجاهلية وقد صرح الشارع

بقبوله لو دعى اليه · هذا اجمال الادلة على وجوب الاتفاق وحظر المنابذة والمغابنة بين المسلمين بل وبينهم وبين غيرهم ممن رضي بذمتهم وقبل جوارهم بالمعروف في سعيهم فان سبيل المؤمنين يسعه ولا يضيق عنه * واما السعي لاعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف الا وهي داعية اليه جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه حاظرة عليهم ان يتوانوا في اداء المفروض منه ومن الاوامر الشرعية ان لايدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله وفي السنة المحمدية والسير النبويه مما يضافر آيات القرآن ما جمعه العلماء في مجلدات يطول عدها ·

هذا حكم ديننا لا يرتاب فيه احد من المؤمنين به والمستمسكين بعروته · هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والركون الى الضيم ان ندعي القيام بفروض ديننا · كيف ومعظم الاحكام الدينية موقوف اجراءوه عَلَى قوة الولاية الشرعية فان لم يكن الوفاق والميل الى الغلب فرضين لذاتهما افلا يكونان مما لايتم الواجب الا به فكيف بهما وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا · هل لنا عذر نقيمه عند الله يوم العرض والحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين وايسر شفاعة الينا اقامتهما وعديدنا مئتا مليون او يزيد هل يتيسر لنا اذ تحكموا بانفسنا وجادلتنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الآن · كل هذه الرزايا التي حطت باقطارنا ووضعت من اقدارنا

ما كان قاذفنا ببلائها ورامينا بسهامها الا افتراقنا وتدابرنا والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه لوادينا حقوقا تطالبنا بها تلك الكلمة التي تهل بها السنتنا وتطمئن قلوبنا بذكرها وهي كلمة الله العليا هل كان يمكن للاغراب ان يمزقوا ممالكنا كل ممزق وهل كان يلمع سيف العدوان في وجوهنا وهل كنا نشيم نيران الاعداء الا وقدامنا في صياصيهم وايدينا عَلَى نواصيهم . ان لابناء الملة الاسلامية يقيناً بما جاء به شرعهم لكن اليس عَلَى صاحب اليقين بدين ان يقوم بما فرض الله عليه في ذلك الدين * احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * ولا ريبة في ان المؤمن يسره ان يعلمه الله صادقاً لا كاذباً واي صدق تظهره الفتنة ويمتاز بهِ الصادق من الكاذب الا الصدق في العمل * هل يود المسلم لو يعمر الف سنة في الذل والهوان وهو يعلم ان الازدراء بالحياة هو دليل الايمان * انرضى ونحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا ان تضرب علينا الذلة والمسكنة وان يستبد في ديارنا واموالنا من لايذهب مذهبنا ولا يرد مشربنا ولا يحترم شريعتنا ولا يرقب فينا الا ولا ذمة بل اكبر همه ان يسوق علينا جيوش الفنا حتى يخلي منا اوطاننا ويستخلف فيها بعدنا ابناء جلدته والجالية من امته

لا . لا . ان المخلصين في ايمانهم الواثقين بوعد الله في نصر من ينصر الله الثابت في قوله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

لا يتخلفون عن بذل اموالهم وبيع ارواحهم والحق داع والله حاكم والضرورة قاضية فاين المفر · المبصر بنور الله يعلم انه لاسبيل لنصرالله وتعزيز دينه الا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين · هل يسوغ لنا ان نرى اعلامنا منكسة واملاكنا ممزقة والقرعة تضرب بين الاغراب على ما بقي في ايدينا ثم لا نبدي حركة ولا نجتمع عَلَى كلمة وندعي مع هذا اننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمد · واخجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا اظنه يخطر ببال مسلم يجري على لسانه شاهد الاسلام

ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض مااشرنا اليه في اعداد ماضية فالهاهم عما يوحي به الدين في قلوبهم واذهلهم ازمانا عن سماع صوت الحق يناديهم من بين جوانحهم فسهوا وما غووا وزلوا وما ضلوا ولكنهم دهشو وتاهوا فمثلهم مثل جواب المجاهيل من الارض في الليالي المظلمة كل يطلب عونا وهو معه ولكن لايهتدي اليه وارى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لايصال اصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض لامكنهم ان يجمعوا بين اهوائهم في اقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد مااختص الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام وفرض عَلَى كل مسلم ان يحجه مااستطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائرهم واجناسهم فما هي الا كلمة تقال بينهم من ذي مكانه في

نفوسهم تهتزلها ارجاء الارض وتضطرب لها سواكن القلوب . هذا ماعدتهم له العقائد الدينية فان اضفت اليه ما اذاب قلوبهم من تعديات الاجانب عليهم وما ضاقت به صدورهم من غارات الاغراب عَلَى بلادهم حتى بلغت ارواحهم التراقي ذهبت الى ان الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حداً يوشك ان يكون فعلاً وهو مما يؤيد الساعين في هذا المقصد ويهيء لهم فوزاً ونجاحاً بعون الله الذي ما خاب قاصده وهو رب اليه ادعو واليه انيب

منشور انكليزي قديم

نشرت حكومة انكلترا في الهند منشوراً من مدة مائة وثمانين سنة وهذه ترجمتهُ :

اذا وجدت في دوائر الحكومة وظيفة لا يقوم بها انكليزي (اي لا تليق لحسنها ان تكون بيد احد من الجنس الشريف) وجب ان يقام فيها احد الفارسيين الباقين عَلَى دين زردشت (المجوس) فان لم يكن منهم مقتدر على القيام بها اقيم فيها وثني (عابد صنم) فان لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء من يؤدي عملها كلف بها مسلم فليس للمسلمين في الهند حظ من وظائف الحكومة الا ما يعافه المجوسي والوثني وهذا هو عنوان محبة الانكليز للمسلمين وهو برهان دعواهم انهم اولياء المسلمين وانصارهم لا كثر الله من امثال هؤلاء الاولياء والانصار

ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

كيف يمكن لقوة اجنبية تصول على امة من الامم ان تسود عليها وتستعبدها وتذللها للعمل في منافعها مع التخالف في الطباع والعوائد

والافكار ووجود المقاومة الطبيعيـــة فضلاً عن الارادية . ان الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الامة وظن كل فرد انه ـــ في خطر على روحه وماله اذا غلبه الغالبون تحمله على المدافعة كما يدافع عن بيتـــه وحريمه فلا يتسنى للقوة المغيرة ان تذل الامة إلا بافنائها عن آخرها او افنـــاء الاغلب حتى لا يبق إلا العجزة والزمنى . هذا امر طبيعي وحكم بديهي متى كانت الغارة على الامة . نعم يسهل للقوة الاجنبية ان تتغلب على امة عظيمة بدون تناحر ان كان لهذه الامة حاكم او رئيس روحاني تجتمع عليه قلوبها وتدين له رقابها لمنزلة له في افئدة ابنائهـــا ولمكان ابائه من الكرامة في نفوسهم فلا تحتاج القوة الغالبة إلا لايقاع الرعب في قلبه فيجبن ويقبل ماتحكم بهِ او نصب حبالة الحيل له فتخدعه بالاماني والآمال فيذعن لما تقضي به فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت الامة تبعاً له . ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش وقود الجنود على قلوب الامراء وارباب السيادة ـــ في الامة التي يريدون التغلب عليها فيخلعونها بالتهديد والتخويف او يملكونها بالخدعة وتزيين الاماني فينالون بغيتهم ويأخذون اراضي الامم وهذا الطريق هو الذي سلكه الانكليز مع السلطان التيموري في الهند ولولا ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيموري وقبض الانكليز اول الامر على تلك العقدة لما تيسر للبريطانيين ان يخضعوا الامم الهندية في احقاب طويلة .

هذه قبائل الافغان عند ما انحلت ثقتها باميرها وصارا لامر الى الامة قامت كل عشيرة بل كل فرد للدفاع عن نفسه بعد ما تمكنت عساكر الانكليز في قلاعهم وحصونهم واستولت على قاعدة ملكهم وفتكوا بالعساكر الانكليزية وهزموا قوتها واجلوها عن بلادهم وهي ستون الفاً من الجيوش المنتظمة مسلحة بالاسلحة الجديدة واضطر الانكليز ان يتركوا تلك البلاد لاهلها . لا ريب انه يسهل على الانسان ان يأخذ شخصاً واحداً واشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد ويتيسر له ان يقف على طباعهم ويدخل عليهم من مواقع اهوائهم ويأتيهم من ابواب رغائبهم لكن يتعسر بل يتعذر عليه ان يأخذ امة بتمامها وعقولها مختلفة عليه نفوسها في وحشة منه اللهم إلا بالابادة والتدمير . من هذا تجد الملوك العظام لا يرهبون الاشتباك في حرب مع اقتالهم بل ومن هو اشد منهم قوة ولكنهم يفرقون بل تذهب افئدتهم هواء اذا احسوا بميل الامة عنهم وما هذا إلا لان قوة المغالبين داخلة تحت الضبط اما آحاد الامم وقواها فلا تضبط ولا تستطاع مقاوماتها اذا تعاصت وشحت بنفسها عن الذل لسواها

ان الامراء كما يكونون في دور من ادوار الامة قوى فعالة لنموها وعلوها وعظمها واشتداد عضدها كذلك يكونون في بعض اطوارها علة فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها وانا نخاف ولا حول ولا قوة الا بالله ان يكون امراؤنا والاعلون منا آلة في اضمحلالنا وفنائنا لما غلب عليهم من

الترف والانهماك في اللذائذ والانكباب على الشهوات مع سقوط الهمة وتغلب الجبن والحرص والطمع على طباعهم فانا لله وانا اليه راجعون

امانى الانكليز في الحوادث المصريه

جاء من لوندرا الى اجانس هافاس ما ملخصه لا يظن احد من الناس ههنا (في لوندرا) ان الجيوش التي عزمت حكومة انكلترا على سوقها الى السودان يقصد منها انقاذ كوردون فان كوردون معزز برجال من الوطنيين (المصريين او السودانيين) اولي عزم وقوة ولهم سطوة تدفع بأس الذين يبغون به البشر . واذا مست الحاجة الى تخليه عن عمله وتركه لمركزه فلا يعدمون وسيلة لخلاصه * اما القصد الحقيقي من بعث الجنود الى السودان فانما هو افتتاحه تحت العلم الانكليزي وهو وان كان يحتاج الى زمن طويل الا انه قليل الخطر ولا توجد في سبيله عقبات سياسية حيث تنازلت الحكومة المصريه عن سيادتها في تلك الاقطار .

يسهل على العساكر الانكليزية ان تسير الى خرطوم على طريق النيل وان سلكت سبيلاً من الارض اليابسة فلا تبعد عن شواطيء النهر (لتكون تحت حماية المراكب) وترافقها في السيل مراكب تعد

لقطع النيل والصعود الى الشلالات فاذا وصلت العساكر والاساطيل النيلية الى خرطوم واستولت عليها اعتصمت فيها حكومة عسكرية تمد نفوذها الى قلب السودان ويكون في هذا عوض للانكليز عما يخسرونه في مصر لو الزمهم المؤتمر بالتنازل عن شيء مما يطمحون اليه فيها ·

قالت جريدة الريبو بليك فرانسز انا نذكر هذه الرسالة عَلَى انها شبه حجة عَلَى مقاصد الانكليز والا فانا نعد ما تحويه من قبيل الاوهام والخيالات اه · اما نحن فنقول من امعن النظر في اعمال الانكليز وتتبع سيرهم في افتتاح الممالك الشرقية علم صحة ما رواه اجانس هافاس فانه منطبق عَلَى قواعد السياسة الانكليزية وآت عَلَى اساسها الذي بنوا عليه فتوحهم من ازمان طويلة وهو اصل تعارفه الانكليز حتى صار كخاصة لازمة نطباعهم ترد اليه جميع اعمالهم من حيث يشعرون ولا يشعرون وعليه كان بناء ملكهم في الهند ·

ان الانكليز اول ما خطوا خطوة في الهند وجدوا مملكة (اود) من الممالك الواسعة واغلب اهاليها على مذهب الشيعة ولها نواب (حاكم) عظيم من هل ذلك المذهب فرأوا ان يحملوه عَلَى الاستقلال وزينوا له الطمع في لقب شاه لينفصل عن الملك التيموري · وفي التنازع لنيل هذا المطمع بصيب كلا من الطامع وصاحب الملك سهم من الضعف والوهن فيتهيأ كل منهما للوقوع في مخالب الانكليز وقد حصل ·

واول ما حلوا مصر ولمحوا شرارة في السودان ادنوا منها وقودها لتكون ناراً مهلكة فبعد ما طردوا الجيوش المصرية ايذاناً بالغضب عليهم جمعوهم ليسوقوهم الى السودان تحت قيادة اعداء لهم من الانكليز فذهبوا وهم موقنون انهم يساقون الى الموت ليذوقوا وبال الانتقام فقلوبهم منكسرة وعزائمهم واهنة وعقائدهم لا تسمح لهم بالانقياد لرؤسائهم الاجانب واحسن السودانيون وهم مسلمون ان قواد الغارة عليهم ليسوا عَلَى شاكلتهم فؤادهم حمية واقداماً فكان هذا وذاك سبباً في استفحال امر السودان بعد ما هلكت رجال وانفقت اموال وساءت احوال من السودانيين والمصريين * كل هذا ليتوسل به الانكليز لفصل السودان عن مصر بعد خراب الدارين وكانهم عند ما ارسلوا كوردون باشا واذنوه ان يمنح محمد احمد لقب امير كوردفان قصدوا ان يتمموا عملهم ولكن لم ينجحوا ٠

وعند ما كانت الحرب قائمة بين دوست محمد خان امير افغانستان وبين (رانجيب سنك) البنجابي تخوف الانكليز من تسلط الافغانيين على بنجاب فتداخلوا في الصلح وسحروا قلوب الافغانيين بلين القول ولطف الوعد حتى ارضوهم بترك مدينة بيشاور وما يليها لرانجت سنك وانعقد الصلح على هذا واجلى الافغانيون عن مملكة بنجاب ورجعوا الى بلادهم ٠ وبعد عشر سنين من تاريخ الصلح زحف الانكليز الى بنجاب وافتتحوها لانفسهم واستولوا على

مدينة بيشاور فقال بعض امراء الافغان ان ذاك الصلح كان مقدمة لهذا الفتح وان الانكليز في تعيينهم للحدود انما كانوا يحددون بلادهم ولكن كنا عنه غافلين ٠

ومن نحو سنة ونصف اوما اللورد دوفرين فى تقريره المصنوع بالقاهرة الى انه لا حاجة بالحكومة المصرية الى السودان بل لا فائدة لها فيه وفهم الغرض في ذلك الوقت من اصابه وغفل عنه قوم اخرون اغتراراً بظواهر العبارات ثم لم يلبث الايماء ان صار تصريحاً رسمياً والزاماً للحكومة المصرية ان تتخلى عن السودان فلم يكن التلميح والتصريح ثم الالحاح والالزام الا ليهيئو البلاد السودانية للدخول تحت سلطتهم في وقت من الاوقات لسبب من الاسباب التي لا يعجزون في اختراعها متى شأوا ٠ هذا سير يعرفه من قرا صفحة من تاريخ الانكليز في الممالك الشرقية * تريد حكومة انكلترا اذا عارضتها الدول في السيادة عَلَى مصر ان تنشى لها سلطة في خرطوم يمتد حكمها الى جميع اراضي السودان وعساكرها الان حالة في سواكن وما اسرع ان تصل بين المدينتين بسكة الحديد فتكون القوى الانكليزية بعد هذا محيطة بمصر من جميع الجوانب ٠ وقفت على بابها من طرف الشمال في قبرص وطوقت حدودها من الغرب الى الشرق فى السودان وتحكمت في منابع النيل وتصرفت في اعلاه واخذت كل طريق يمكن منه استيلاؤها عَلَى الديار المصرية وهنالك يرصد الانكليز حركات الدول

في اوربا . فكلما اضاءت لهم بارقة فرصة مشوا فيها واذا اظلمت عليهم قاموا فيتقدمون الى مصر خطوة بعد خطوة ولا يبالون طال الزمان او قصر فانهم يعرفونها لهم على اي حال ولكنهم يتقون معارضة الدول في هذه الاوقات . هذه غايات سير الانكليز في الحوادث المصرية وهي كما قالت الرو بيبليك فرنسز خيالات واوهام اذا اشتدت الدولة العثمانية ورجال مصر في المطالبة بحقوقهم الشرعية والمحافظة على شؤنهم واخذوا بالحزم وعقدوا العزم على مقاومة سعي الانكليز في اوطانهم وديارهم بعد ما ظهر لهم ماذا يقصدون بهم فان تهاونت الدولة العثمانية او تغافل المصريون حسبما الانكليز طريقاً مطروقة وسبيلاً مسلوكة وعدوا مطامحهم حقائق ثابتة ومطالب مقررة لا نجح سعيهم ولا صدق ظنهم .

السودان ومصر

نشرت جريدة البوسفور اجبسيان التي تطبع في القاهرة خبراً ذكره توفيق باشا نفسه وهو ان الجنرال كوردون توعد حكومته الانكليزية بانها ان لم تمده بجيش ينقذه من الضيق الملم به فانه يرفض الدين المسيحي و يدخل في دين الاسلام وضمنت جريدة البوسفور صحة هذا الخبر العجيب (كذا وصفته الجريدة بالعجب) وغرابة الخبر ان كانت من جهة انه تهديد بما لا يهم الحكومة فنحن نعلم ان الانكليز بفزعهم خروج احد منهم عن دينهم وان كانوا يرشدون الناس الى

ترك الدين و يعيبون عَلَى المستمسكين به لكنهم اشد الناس تعصباً فيه فلا محل للغرابه وان كانت من جهة ان كوردون وهو من اشد قومه تمسكاً بدينه كيف يجنح للاسلام فهو انكليزي الطبيعة كما هو انكليزي الجنس يتلون ظاهره باي لون و يبرز في اي ثوب لاصابة غرضه مع المحافظة عَلَى ما طبع الله عَلَى قلبه فلا عجب ان قال وفعل * في خبر ان محمد احمد طلب الى اعوانه المحاصرين لخرطوم ان يوجهوا اليه بكوردون حياً ولا يمسوه بسوء اذا وقع في ايديهم . وفي تلغراف من اسيوط الى جريدة التيمس ان مركباً من مراكب البريد وصلت اليها تحمل ثلاثة اشخاص مرسلين من طرف زبير باشا لاستكشاف حالة كوردون وتوجهت في الحال بمن فيها الى اصوان . هكذا الدهر ابو العجب . من سنين قليلة فتك كوردون باولاد الزبير وذوي قرابته وافسد عليه شؤنه واخرجه عن جميع امواله واليوم راينا كدر الضغينة في صفا المحبة يبعث الزبير عَلَى الرافة بكوردون وتوجيه الرسل للسوال عن صحته والاستخبار عن سلامة حاله . جاء الخبر ان اهالي جرجا (مدينة من مدن الصعيد مركز مديرية في جنوب اسيوط) في هياج شديد يشبه ان يكون ثورة وورد الى تلك المدينة رجل من اشياع محمد احمد قادماً من القاهرة ودعا الاهالي للاخذ بطريقته فاذا بينهم جم غفير يجيب داعيه و يذهب مذهبه وهو مما يدل عَلَى ان القائم السوداني مهتم بنشر دعوته محتاط لنفسه حاذق في عمله وله دعاة في ارجاء الديار المصرية حتى في عاصمتها (القاهرة) فان ثبت في هذا السير حل بالحكومة المصرية منه ما كنا نخشى ان يقع بها و يشتد الخطب ولربما صار له بقوة ميل الاهالي اليه منعة يصعب عَلَى حكومة غير اسلامية ان تقارعها . اما ما ذيل به خبر الهياج في جرجا من وجود عداوة بين المسلمين من اهاليها و بين المسيحيين فهو ما لا نصدقه ولا ينطبق عَلَى الواقع لان الايام السابقة شاهدة عَلَى حفظ كل من الفريقين زمام الاخر في جميع الاحوال التي عرضت عَلَى بلاد مصر المسلمون والمسيحيون فيها عَلَى وفاق تام في جميع نواحيها والمقاتل التي وقعت ايام الحرب المنقضية انما كان منشاؤها افساد

المفسدين عَلَى انه لم يمس فيها قبطي بسوء والاخبار الصحيحة تؤيد ما نقول ٠ ارسلت الحكومة المصرية الطابور السابع من المشاة الى اصوان مع جملة من المدافع الجبلية وعدد وافر من الجمال ٠

في تلغراف من سواكن الى جريدة الد التلغراف ان مناوشات وقعت من تباع محمد احمد بالقرب من سواكن وفي جريدة التمس ان الثائرين اطلقوا مدافعهم عَلَى تلك المدينة في الساعة الثانية صباحاً من الثامن والعشرين من شهر ماي الا انه لم يصب احد من الحرس وتاخر الهاجمون بسرعة ٠ عثمان دجمه مع الف من رجاله نازلون عَلَى القرب من طمانيب ومعظم قوته حالة بتلك البلدة ويقال ان بنفوس عساكره كدراً من قلة ألازواد وهو من اخبار العدو يسمع وقد لا يصدق ٠ ان الاميرال هفيت المرسل من طرف انكلترا لخديعة الملك يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول * اراد رجال الانكليز ان يخففوا عَلَى القلوب المنخلعة من ابناء امتهم اهوال السودان وما يتوقعونه من مصائبه فاشاعوا ظهور شخص يدعي المهدوية في درفور و يخبران محمد احمد ليس الا تلميذاً له من قدماء تلامذته وكان الانكليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانيين كما يسرهم تخالف المسلمين اجمعين ٠

زبير باشا

في تلغراف ورد لجريدة داليتلغراف من القاهرة في ٢٧ مايو

ان زبير باشا طلب الى سراي توفيق باشا بناء عَلَى اشارة الحكومة الانكليزية والتمس منه المستر اجرتون ان يجد وسيلة لايصال رقيم الى كوردون باشا يأمره بالعود حالاً واتباعاً لامر توفيق باشا بعث الزبير باحد خدمه لاداء هذ العمل وكانت فرصة انتهزتها حكومة فرانسا لاستدعاء قنصلها في خرطوم وقد ضمن

الزبير وصول الرقيم وعود الرسول بالجواب في خمسين يوما اه . ان صح هذا دلنا عَلَى ان كوردون ليس معززا برجال اولى باس وشدة كما جاء في رواية اجانس هافاس وان الانكليز عجزوا عن انقاذه بقوة حربية وان كانوا ربما يقصدون الحرب لغاية اخرى .

ونقلت الجرائد الاوربية ما يعجب من نسبته لزبير باشا . ذلك انه اشخص ثلاثة من اولاده الى رؤساء الثائرين ومع كل واحد منهم كتاب اليهم وهذا مفاده نذكره ترجمة من تلك الجرائد بلا تصرف في عباراته

شكراً للخديو ولدولة بريطانيا العظمى وللجنرال كوردون . كل املاكي التي كانت نزعت من يدي سترد الينا . يا احبابي ويا اهل وطني اني ابعث اليكم اولادي الثلاثة مصحوبين برقيم الى الجنرال كوردون فدعوهم يصلوا اليه وسهلوا سبلهم واقسم عليكم باسم النبي واسماء اجدادي الذين اكرموا الاسراء ان ترافقوا كوردون الى كورسكو وان تعاونوه حتى يعلو متن النيل . كل معاملة تسيء الجنرال فهي تكسر خاطري الى الابد . وانا وعيالي ههنا رهن الى ان يعود الجنرال كوردون فان عاد صحيحاً سالماً فمحمد يحفظكم ابد الآبدين اه وانا اتبرأ من صحة مافي هذا الرقيم ونسبته لزبير باشا فانا نعرف الرجل مسلما فقيهاً في دينه عالما بفروضه وهو من سلالة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفسه حزازات مما نكاه به الجنرال كوردون عند ما كان حكمدار السودان وليس من احد يحفظ تاريخ كوردون ويحصي سيئاته كزبير باشا علمنا ذلك منه وهو يتنفس الصعداء من ذكرى مصائبه ايام كنا في مصر فكيف يمتدح الانكليز ويشكرهم وكيف يقوم بعمل يعود بالمنفعة عليهم اغترارا بما وعدوه من رد املاكه اليه وهو يعلم ان كل ما يفيدهم لا يزيد قدمهم الا رسوخا في اوطانه ومن لاحظ اسلوب الرقيم تبين له انه ليس باسلوب عربي خصوصاً ما جاء في خاتمتهُ من الدعاء فانه لم يعرف في عبارات المسلمين ما يشابههُ فمحمد لا يحفظ احداً بل الله عَلَى كل شيء حفيظ . فلا يبعد ان عدو الزبير اراد ان يشوه سيرته فرماه بهذه النسبة او ان يكون الرقيم من مخترعات بعض الجرائد الاوربية للتمليح .

اخبار سياسية

جاء في تلغراف من برلين الى جريدة كازيت دوكولوني ثبت ان من عزم دولتي فرانسا وانكلترا ان تتفقا قبل انعقاد المؤتمر عَلَى موضوع البحث فيه كما اتفقت دولتا الروسية وانكلترا على مدار النظر في مؤتمر برلين قبل انعقاده بواسطة اللورد سالسبري والكونت شوفالوف . كل من الدولتين المتفاوضتين تمد نظرها الى ما عسى ان توَّول اليه مداولات المؤتمر وتحدده وتقدره (ثم تدخل فيه عَلَى ان تكون الغاية ماقدرت)

ربما حلت الدعوة الى المؤتمر محل القبول عند بعض الدول الا ان رضاء الباب العالي شرط في قبول حكمه والتسليم لقضائه ولو ان دولتي النمسا والمانيا او الدول جميعها قضت بان يكون من قواعده الاساسية اجابة جميع الدول التي دعيت اليه موقتاً لم يكن ذلك قاضياً بوجوب الاذعان لما يبرمه وهذا هو شأن المؤتمر بالنسبة الى الباب العالي عَلَى اي حال .

قالت جريدة التمس تيسر لوزارة انكلترا ان تتغلب على مجلس النواب لكن ليس لها ان تعتمد عَلَى هذا الظفر الهين وعليها ان تستفيد في مدة البطالة لعيد العنصرة فتنجو بما تستفيده من الخطر العظيم الذي ربما يحيق بها من المفاوضات الجارية بينها و بين وزارة فرانسا* تساهلت الوزارة في عقد عهدة تخالف مصالحنا مع شركة قنال السويس ثم نجحت في التملص من قيودها ومزقت المعاهدة وتركت موسيو دلسيس عَلَى ارض قفراء وليس بالسهل عليها ان تسلك اليوم ما سلكت في تلك الاوقات فلو رفض البرلمان ما انتهت اليه المفاوضات في المسئلة المصرية لما امكن للوزارة ان تبقى في مساندها . اذ اتعذر الوصول من هذه المفاوضات الى غاية صالحة امكن الوزارة ان تتنحي عن العمل . اما فرانسا وسائر الدول فليس لها ان تطالب مجلس العموم في انكلترا بمنحة شحت بها نفوس اهالي بريطانيا كافة ورفض السماح بها عموم الآراء في بلاد الانكليز (بزيد بالمنحة ماتفضل به وزراء انكلترا عَلَى الدول من دعوتها للمذاكرة في احوال مصر)

باريس

يوم الخميس في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠١ و ١٩ يونيه سنة ١٨٨٤

حملت قوة الثائرين عَلَى مدينة بربر فافتتحتها بعد ما فتكت بجميع حاميتها ولم يبق موضع للريب في استيلاء اعوان محمد احمد عَلَى تلك المدينة وبعد تمكنهم فيها زحف منهم ثلاثون الفاً لمهاجمة دنقلا وفي تلغراف من كروسكو الى التيمس بتاريخ ١٣ يونيو ان محمد احمد يزحف بنفسه مع خمسة وثلاثين الفاً لفتح دنقلا وله امل في الفوز قبل ان يهل رمضان وقد بعث برقيم الى مديرها وسماه اميراً عليها ومد سنة السلطة فيها مع ما يليها. انقطع الطريق بين دنقلا ووادي حلفا وامتنع سلوكها وايست الحكومة المصرية من صيانة تلك المدينة فاصدرت اوامرها بتمهيد سبيل لرجوع حاميتها الى مصر وشعرت حكومة انكلترا بتعاصي الفتنة فعدلت عن ارسال نجدة لامداد حامية خرطوم كما اكدته جريدة المورنن بوسط الانكليزية قنوطاً من نجاحها وعثمان دجمه يشتد عضده يوماً بعد يوم وله في كل ليلة هجمات عَلَى مدينة سواكن بل وعَلَى بعض المراكب في البحر. اخبار ما نزل ببربر وما يتوقع نزوله بدنقلا وغارة الثائرين عَلَى معسكرات الحكومة في وادي حلفا كل ذلك احدث اضطراباً شديداً في اصوان وهيجاناً في خواطر الكافة من

اهل الصعيد وربما يخشى من وقوع ما لا تحمد عاقبته على الناكثين

هذه مرابك الانكليز في مصر وهم في اوحالها لا يفترون عن السعي الى ما يثبت قدمهم فيها . جاء في تلغراف الى اجانس هافاس ان الجند المصري دخل باسره تحت امرة الجنرال استفانوس (قائد جيش الحلول الانكليزي) فصار الجنرال كانه ناظر الجهادية وتحول الجند الوطني الى انكليزيه وجيش الحلول الى حامية مصرية ثم هم يسعون لالزام توفيق باشا بنصب ثلاثة مفتشين من الانكليز احدهم في القاهرة والثاني في مصر السفلى (مفتش وجه بحري) والثالث في مصر العليا (مفتش وجه قبلي) عَلَى انهم لا يعزلون الا بامر من انكلترا فتنقلب الادارة انكليزية محضة لا يبقى فيها لحكام مصر الا نهاية حال الذليل . الامتثال والطاعة . تصرفوا في الاراضي المصرية العثمانية تصرف المالك فمنحوا منها بقاعا وفرضا عَلَى البحر لملك الحبشة وحالفوه عَلَى ان يسوق جيشاً ينازل المسلمين في اراضيهم رجاء تذليلهم واخماد انفاسهم وفي اثناء هرولتهم الى مطامعهم يثيرون في اعين الدول غباراً و يرفعون جلبة و يصيحون بان لا غرض لنا الا اقرار الراحة واعادة النظام ويقيمون الحجة عَلَى اخلاصهم برغبتهم الى الدول في مساعدتهم على حل بعض المشاكل المالية مع انهم لا يرغبون عقد المؤتمر الا لينالوا منه ما يزيد قدمهم رسوخاً في مصر . علموا ان لفرنسا مصلحة في مناواتهم فطفقوا يهددونها بالتحالف مع المانيا او التقرب اليها ان لم

تتساهل معهم ليحملوها باتهديد عَلَى الرضاء بابقاء عساكرهم في مصر الى سنة ١٨٨٨ تحت اسم اقرار الراحة على شرط ان لا يكون بعد مدة الا باجماع جميع الدول التي يكون لها نواب في المؤتمر بحيث لو وافقتهم احداهن عَلَى اطالة المدة فيما بعد لكفى في تمديد الاجل او اطلاقه وليس بخاف ما يقصدون من هذا الشرط فانهم يعلمون في اختلاف مصالح الدول وتضارب السياسات ما لا يعدمون معه وسيلة لارضاء دولة واحدة في زمن من الازمان بالموافقة عَلَى مد الامد ولا نخال دولة فرنسا يقف نظرها دون هذا الحجاب الرقيق وهو يشف عن ملم عظيم لا تسلم منه مملكة من ممالكها في المشرق ولا نظنها تذعن لقبول هذا الشرط وان قبلته دولة لا مصلحة لها في مصر ولا يهمها الا معاكسة فرنسا ٠

فكانما سلك تصرف الانكليز من خمس سنوات في سلسلة من الالاعيب نهايتها للتسلط عَلَى مصر في هذا المؤتمر بدواوا بدعوى ثروة المالية المصرية وان عجزها من الخيانة فيها وتوسلوا بذلك لانقلاب في هيئة الحكومة ثم الجاءوا عرابي للدخول في العصيان ليعتلوا به في الزحف لتابيد الحاكم ثم وسعوا دائرة الخلل ليكون وسيلة الى سلطة لا تحد يؤملون نيلها في هذا المؤتمر ٠ زينوا للدولة العثمانية ان تصول عَلَى السودان مع وجود عساكرهم في مصر ثم تخرج وقد مهدت لهم مصر والسودان معاً فلما لم تنخدع لهم وحق لها ان لا

ترضى شدوا عليها بالتهديد قائلين انهم لا يسمحون لعسكري تركي ان ان يذهب الى السودان من بعد ولو لم تقبل الدولة العثمانية حضور نائب لها في المؤتمر على انه منحصر في المالية فانه سينعقد بدون رضاها . ولئن كان الانكليز صادقين في طلبهم اقرار الراحة في مصر لوكلوه الى عساكر العثمانيين وفوضوا الامر لحازم حاذق من امراء المصريين فان في ذلك اطفاء للفتن وتثبيتاً للسلم ولا خوف من الدولة العثمانية عَلَى الاستقلال المصري فليس من شأنها ان تنقض عهد دولة واحدة في هذا الوقت فضلاً عن عهود الدول ولكن لا يهولن الدولة هذا التهديد فدعوة محمد احمد بلغت في الهنديين وتغلغلت وخبر قرب الروس منهم ملا اذانهم والانكليز يتوقعون الفتنة فيهم ساعة بعد ساعة والقوة الانكليزية قاصرة عن مدافعة محمد احمد فلو ثبتت الدولة العثمانية لخضع الانكليز لقوة الحوادث رغماً عنهم فانهم يفرقون من ان يشاع عنهم انهم مضادون للدولة العثمانية فالثبات الثبات والله المستعان .

﴿ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾
﴿ ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾

تلك ايات الكتاب الحكيم تنبي عن سر عظيم اختص الله به الانسان ورفعه به عَلَى سائر الاكوان ليبلغ به المقام المحمود ويحوز

ما اعدته العناية الالهية من الكمال اللائق به * راجع نفسك واصغ لمناجات سرك تجد في وجدانك ميلاً قوياً وحرصاً شديداً يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب ابناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد امة بتمامها تجد مثل ذلك في كليتها كما هو في احادها تبتغي رفعة المكانة في نفوس الامم سواها · ذلك امر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفرداً ومجتمعاً * ليس من السهل عَلَى طالب المجد وعلو المكانة ان يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعراً في السبل وعقبات تصد عن المسير ومع هذا فلا يضعف حرصه ولا ينقص ميله * يقطع شعاباً و يعاني صعاباً حتى يرقى ذروة المجد و يتنسم شاهق العزة ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجا للسكون رأيته يتململ و يتضجر كانما يتقلب عَلَى الرمضاء * لو سبر الحكيم الخبير اعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى ان معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم الحياة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤن الشرف * هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب عَلَى اختلاف الطبقات من ارباب المهن الى اصحاب الامر والنهي كل ينافس اهل طبقته في اسباب الكرامه بينهم ويأنف من ضعته فيهم ويحرص عَلَى ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطي حدود تلك الطبقة ودخل فى طبقة اخرى ونافس اهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره

مادام حياً يخطر في بسيط الارض · ذلك لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارن انه آسف الفؤاد على ما قصر عنه ·

ما هو المجد الذي يسعى اليه الانسان بالالهام الالهي ويخوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسودد وتذعن له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبة اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر امته فتنفذ كلمته وكلمة المتصلين به والملتحمين معه في شئون من سواهم وهو اعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشان في هذه الحياة الاولى * فما كان يحسبه طالب المجد عائداً الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته اجمعين * واهاً * تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد نعم وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الاحاد منها ذلك تقدير العزيز العليم · ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له اعضاد من بني قبيله * فمن كان همه ان يصعد الى عرش العزة ويرقي الى ذروة السيادة فعليه ان يهيء نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل مايعد في العالم الانساني فضيلة وكمالاً * ما اصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي وما اشد

لان الكمال الانساني ليس له حد ولا تحده نهايـة وليس في استطاعة احد من الناس ان يقنع نفسه و يعتقد انه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية * سبحان الله ماذا اخذت محبة الشرف من قلب الانسان وماذا ملكت من اهوا ه * يعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انـه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه او عند مسه والخوف من سلبه * ارأيت ان فقيراً ذا اسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه او قذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذفة او الاهانة ما نقصت شيئاً من طعامه ولا شرابه ولا خشنت مضجعه في مبيته * الاف مولفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة القوا بانفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف او طلباً للكرامة والمجد * جل شأن الله لا يهنأ للانسان طعـام ولا شراب ولا يلين له مضجع الا ان يلحظ فيه ان ما نال منـه اعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس عَلَى ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيـه كان لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البـدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يتحمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة او ليكسب فخاراً او ليحفظ ما اتاه الله منه * ما اجل عناية الله بالانسان

ما تحتمل النفوس في قضاء بعض الوطر مما يتصل به وما اعظم الحامل للانفس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع * ماهذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصغر كل عظيم ويلين كل خشن ويسليها عن جميع الآلام ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلاً عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز * هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل * الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ومرشد حاذق في بهماء الكروب وعلم هاد في مجاهيل المشكلات وحاكم قاهر للعزائم اذا عرتها فترة ومستفز للهمم ان عرض لها سكون * ليس الامل هو الامنية والتشهي اللذين يلمحهما الذهن تارة بعد اخرى ويعبر عنهما بليت لي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش واللهو بما يبعد عن المرغوب كان صاحبهما يروم ان يبدل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة او الخسيسة فيسوق اليه ما يهجس بخاطره بدون ان يصيب تعباً او يلاقي مشقة * انما الامل رجاء يتبعه عمل ويصحبه حمل للنفس على المكاره وعرك لها في المشاق والمتاعب وتوطينها لملافاة البلاء بالصبر والشدائد بالجلد وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تغذ بنيل الارب فيكون بذل الروح اول خطوة يخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الا وقاية بناء الحياة

من صدمات حوادث الكون *

وكما كان الميل للرفعة امراً فطرياً كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة * غير ان ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما اودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الاخر فكل طالب ومطلوب ولم تبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به للاخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم امجاداً شرفاء بما يأتون من اعمالهم ولكنهم تزاحموا في الاعمال كما تزاحموا في الامال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا و يعلم الصابرين* فاذا توالى الصدام عَلَى شخص او قوم حدث في الهمم ضعف واصابها انحطاط وحصل الفساد في هاتين الخلتين الشريفتين « الرجاء وطلب المجد » كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤول الضعف الى اليأس والقنوط « نعوذ بالله منهما » * ماذا يكون حال القانطين المنقطعة امالهم يحكمون عَلَى انفسهم بالحطة و يسجلون عليها العجز عن كل رفعة فياتون الدنايا و يتعاطون الرزائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون انفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ايا كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانيات الانسانية

التي يمتاز بها الانسان عن الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بحاجات قبقبهم وذبذبهم ثم ياليتهم يكونون هملا وسوائب يرعون النبات ويتبعون مواقع الغيث ولكنهم وان تركوا العمل لانفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمال الحمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها و يستريح فيعالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرهما من الاعمال الشاقة ويدأبون باشد مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً * ثمرات كسبهما بامرهـا محولة الى الذين سادوا عليهم بهممهم « هذا الذي يتجشمه الذليل في ذله من مشاق الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها » بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم ادنى من درجة الحيوانات العاملة فان السائدين يشعرون بحكم البداهه ان هولاء اسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضي الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح ان يكون من شـأنها و كفروا نعمة الله في تكوينهم عَلَى الشكل الانساني وايداعهم ما اودع في افراد الانسان فيعاملهم اولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات ولنا عَلَى ذلك شاهد العيان في الامم التي ادركها اليأس وسقطت في ايدى الاجانب « ها هي الهند فانظر اليها والي اهاليها وحالهم مع السائدين عليهم » ونظن انه يوجد اقوام اخر سأمهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم الان

ما لا تسام به السوائم الراعية وهم عَلَى القرب منا وليسوا ببعيد عنا ٠

عجباً كيف تتبدل احكام الجبلة وكيف يمحى اثر الفطرة كيف تسفل النفس حتى لا تطلب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها امل والامل وحب الكرامة طبيعيان في الانسان * بعد امعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان ان جميع اعماله انما تصدر عن قدرته وارادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان اعماله وليس فوق يده يد تمده بالمعونة او تصده بالقهر فاذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى وقطعت عليه سبيل الوصول لمطلبه رجع الى قدرته فوجدها فانية وقوته فرأها واهنة فيعترف بوهنه ويسكن الى عجزه فييأس ويقنط ويذل ويسفل اعتقاداً منهُ بانه لا دافع لتلك الموانع التي تعاصت عَلَى قدرته ومتي كانت قوة المانع اعظم من قوته فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الامل فيقع في الشقاء الابدي * اما لو ايقن ان لهذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل سطوة لجبروته الاعلى وان ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما امكن مع هذا اليقين ان يتحكم فيه اليأس وتغتال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي اعلَى من كل قوة فيركن اليها في اعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا عَلَى ان قدرة الله اعظم منها وكلما اغلق في وجهه باب

فتحت له من الركون الى الله ابواب فلا يمل ولا يكل ولا تدركه السآمة لاعتقاده ان في قدرة مدبر الكون ان يقهر الاعزاء ويلقي قيادهم الى الاذلاء وان يدك الجبال و يشق البحار و يمكن الضعفاء من نواصي الاقوياء وكم كانت لقدرة الله من هذه الاثار * فتشتد عزيمته و يداب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما اعده الله · له من السعادة في الاولى والاخرة وما كان لموقن بالله و بقدرته وعزته وجبروته ان يقنط و ييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لاريبة فيها بما قال وهو اصدق القائلين انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وبما حكى من قول نبيه ابراهيم ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلاً على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد عَلَى الايمان بالله وقدرته الكاملة ·

لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم ان يرضخوا للذل و يرضوا بالضيم و يتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الان محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عظاما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بسيط الارض وان من الحق ان نقول ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى ان يلجوها وان روح الله نافخة عليهم و ما يلزمهم سوى ان يستنشقوها والفرص دائما تمد اياديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم وليس

عليهم في استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاول الا ان يجمعوا كلمتهم و يتعاونوا عَلَى ما يقصدون من اعزاز ملتهم وذلك ايسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي موجب لليأس واي داع للقنوط و بين ايديهم كتاب الله النـاطق بان اليأس من اوصاف الضالين وهل توجد واسطة بين الرشد والغي فماذا بعد الحق الا الضلال هل يكون للقانطين فيهم من عذر . ايرضون بالعبودية للاجانب بعد تلك السيادة العليا ماذا يبتغون من الحياة ان كانت في ذل واهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم ايطمئنون وهم بين اجنبي حاكم و بغيض شامت ومقبح غبي ومشنع دني ومعير خسيس يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكمون بان محالاً عليهم ان يصيروا امة في عداد الامم . الم ينسلخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات اينسون انهم كانوا الاعلون في الارض وما طال عَلَى ذلك الزمان ولا محيت التواريخ ولا عفت الاثار ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه الارض * ان كان للعامة عذر في الغفلة عما اوجب الله عليهم فاي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه لم لا يسعون في توحيد متفرقة المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لاصلاح ما فسد من ذات بينهم لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية امال المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين

به وتبشيرهم بهبوب روح الله عَلَى ارواحهم * بلى ان قوماً شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان املنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بتعضيدهم ليتمكن الجميع من نصر الله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ٠

﴿ برهمن لاهور ﴾

قد انكشف (لفندت اللاهورى صاحب جريدة اخبار عام) ان ما انذرنا به عند دخول الروسية في مرو من وشك دخولها في سرخس ليس من قبيل كان ويكون وسيكون فقد دخلت الروسية مدينة سرخس برضاء سكانها من التركمان كما قدمنا في العدد الماضي فليس له ان يستبطى سير الهول الشمالي ليدكدك اسوار الحكومة التي يظهر المدافعة عنها (وهي الحكومة الانكليزية) فعما قريب تظله هبوة الزحف في ارض ينجاب تحت جدران داره وله بعد ان رأى مارأى من صدق نبئنا الاول ان يطمئن الى ما ننبى به فيما بعد فاننا نحكي عن طبائع الامم وحقائق السياسة ومقتضياتها وليس يغنى ظنه من الحق شيئاً ٠

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ﴾
﴿ ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى ﴾
﴿ صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾

قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعة والجيوش العاملة والاهب الوافرة والاسلحة الجيده قلنا نعم هي احراز والات لابد منها للعمل فيما يقي البلاد ولكنها لاتعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة الا ان يتناول اعمالها رجال ذوو خبرة واولو رأي وحكمة يتعهدونها بالاصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم واصحاب الحذق والدراية يقومون على سائر شؤن المملكة يوطئون طريق الامن ويبسطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك عَلَى قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الاجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها عَلَى اجنحة السياسة القويمة الى اسمى مكانة تمكن لها ولن يكونوا اهلاً للقيام على هذه الشون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة عَلَى سكانها وحتى تكون الحمية ضاربة في نفوسهم اخذة بطباعهم يجدون في انفسهم منبها عَلَى مايجب عليهم وزاجرا عما لا يليق بهم وغضاضة والما موجعا عند

مايمس مصلحة المملكة ضرر ويوجس عليها من خطر ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات ان يودوا اعمال وظائفهم كماينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليله الى فساد كبير في الملك * فهولاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة ٠

يسهل على حاكم في اي قبيل ان يكتب الكتائب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بنقد النقود و بذل النفقات ولكن من اين يصيب بطانة من اولئك الذين اشرنا اليهم عقلا رحماء اباة اصفياء تهمهم حاجات الملك كما تهمهم ضرورات حياتهم * لا بد ان يتبع في هذا الامر الخطير قانون الفطرة ويراعى ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطاء وتكشف له خفيات الدقائق وقلما يخطي في رايه او يتاود في عمله من اخذ به دليلاً وجعل له من هديه مرشداً واذا نظر العاقل في انواع الخطا التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطلب اسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه * من احكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والمرحمة والحمية والنغرة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الامة اصل راسخ ووشيج يشد صلته بها هذه فطرة فطر الله الناس عليها ان الملتحم مع الامة بعلاقة الجنس او المشرب يراعي نسبته اليها ونسبتها اليه و يراها لا تخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته

وحريمه «راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند ما يرمي احدهم اهل بلد الاخر او دينه بسوء عَلَى وجه عام كسوري ينتقد المصريين او مصري ينتقد السوريين» هذا الى مايعلمه كل واحد من الامة ان ما تناله امته من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه خصوصاً أن كان بيده هامات امورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه من المنفعة اوفر ومصيبته بالمضرة اعظم وسهمه من العار الذي يلحق الامة اكبر فيكون اهتمامه بشؤن الامة التي هو منها وحرصه عَلَى سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة او يخشاه من المضرة ·

فعلى ولي الامر في مملكة ان لا يكل شيئاً من عمله الا الى احد رجلين اما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتمزيق موقرة في نفوس المنتظمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التفاني في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان واما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدين الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلا من الجامعتين «الجنسية على النحو السابق والدينية» مبدآن للحمية عَلَى الملك ومنشآن للغيرة عليه ·

اما الاجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في

دين نقوم رابطته مقام الجنس فمثلهم في المملكة كمثل الاجير في بناء بيت لا يهمه الا استيفاء اجرته ثم لا يبالي اسلم البيت او جرفه السيل او دكته الزلازل هذا اذا صدقوا في اعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الاجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الامة التي هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤنه ما عدا الاجر الذي يأخذه وهذا معلوم ببداهة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه عَلَى الحذر الشديد مما يفسد الملك او الحرص الزائد على ما يعلي شأنه بل لا يجد باعثاً يبعثه على الفكر فيما يقوم مصلحته من اي وجه * هذه حالهم هي لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرآءتهم من اغراض اخر فما ظنك بالاجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في ارض غيرهم طلباً للعيش من اي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا او كذبوا وسواء وفوا او قصروا وسواء راعوا الذمة او خانوا او لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لامهم يمهدون لها طرق الولاية والسيادة عَلَى الاقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الاجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في انفسهم حاملاً عَلَى الصدق والامانة ولكن يجدون منها الباعث عَلَى الغش والخيانة) ومن تتبع التواريخ التي تمثل

لنا احوال الامم الماضية وتحكي انا عن سنة الله في خليقته وتصريفه لشؤن عباده رأى ان الدول في نموها و بسطتها ما كانت مصونة الا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من اعمالها بيد اجنبي عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط الا عند دخول العنصر الاجنبي فيها وارتقاء الاغراب الى الوظائف السامية في اعمالها فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الاغراب و بين الدولة التي يتناولون اعمالها منافسات واحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من ازمان طويلة * نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمية ابناء الدين او الامة ويطرأ النقص عَلَى شفقتهم ومرحمتهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك اذا كان ولي الامر لا يقدر اعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة عَلَى فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الامة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضره اخف واقرب الى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الاجانب لهامات الامور في البلاد لان صاحب اللحمة في الامة وان مرضت اخلاقه واعتلت صفاته الا ان ما اودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فاذا اساء في عمله مرة ازعجه من نفسه صائح الوشيجه الدينية او الجنسية فيرجع الى الاحسان مرة اخرى وان

ما شد بالقلب من علائق الدين او الجنس لا يزال يجذبه اونة بعد اونة لمراعاتها والالتفات اليها و يميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا . لهذا يحق لنا ان نأسف غاية الاسف عَلَى امراء الشرق واخص من بينهم امراء المسلمين حيث سلموا امورهم ووكلوا اعمالهم من كتابة وادارة وحماية للاجانب عنهم بل زادوا في موالات الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بعد ما رأوا كثرة المطامع فيهم لهذا الزمان واحسوا بالضغائن و لاحقاد الموروثة من اجيال بعيدة و بعد ما علمتهم التجارب انهم اذا ائتمنوا خانوا واذا عززوا اهانوا يقابلون الاحسان بالاساءة والتوقير بالتحقير والنعمة بالكفران ويجازون على اللقمة باللطمة والركون اليهم بالجفوة والصلة بالقطيعة والثقة فيهم بالخدعة * اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لا تنقص الم يان لهم ان يرجعوا الى حسهم ووجدانهم الم يات وقت يعملون فيه بما ارشدتهم الحوادث ودلتهم عليه الرزايا والمصايب الم يكن لهم ان يكفوا عن تخريب بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم * الا ايها الامراء العظماء مالكم وللاجانب عنكم ها انتم هولاء تحبونهم ولا يحبونكم قد علمتم شانهم ولم تبق ريبة في امرهم ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها سارعوا الى ابناء اوطانكم واخوان دينكم وملتكم واقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به عَلَى غيرهم تجدوا فيهم خير عون وافضل نصير اتبعوا سنة الله فيما الهمكم

وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين وراعوا حكمته البالغه فيما امركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى اسفل سافلين الم تروا الم تعلموا الم تحسوا الم تجربوا الى متى الى متى انا لله وانا اليه راجعون ٠

* هذا *

سررنا بملافاة افاضل من ارباب الجرائد في مصر اتوا الى اوربا ليحضروا عقد المؤتمر في لوندرا و يقفوا عَلَى دقائق المفاوضات التي تجري فيه متعلقة بالمسئلة المصرية و ينشروها مع ما تجود به قرائحهم من الراي الصحيح في جرائدهم تنويرا للافهام وتنبيهاً للافكار فحمدنا سعيهم وشكرنا صنيعهم واعظمنا همتهم في خدمة البلاد المصرية قياماً بما فرضته عليهم الجامعة المشرقية وما اوجبته ذمة الجوار وان لم يكونوا ممن نبت في تراب مصر ولا جبل من طينتها * ولكنا اسفنا غاية الاسف عَلَى احتمالهم لهذا العمل العظيم افذاذا بلا معززين لهم من ابناء الديار المصرية لا من المسلمين ولا من المسيحيين اولئك الذين حفت بهم المكاره وداهمتهم مغيرات الرزايا من كل جانب ولهم في البلاد نسب صريح وورثوا ما اقاموا فيه عن ابائهم واجدادهم من اجيال طويلة وفيهم عارفون باللغات الاجنبية عَلَى اختلافها ومنهم من نال شرف المعرفة عَلَى نفقة بلاده وانما كانت تعده البلاد لمثل هذه المهمات * الا يوجد بينهم شاب يغلي دمه وتجيش احشاؤه لما نزل بديارهم و بني وطنه مما يتألم له العالم اجمع او ان لم يكن هذا ففتى يعظم همه و يسموا عزمه فيطلب ذكراً رفيعاً وثناءً باقياً فتنهض همته للشكاية من مصابه ومصاب اخوانه او لارشادهم الى ما به النجاة وما يتوسلون به الى الخلاص * الا يوجد شيخ قضى وطره من الدنيا وفاضت عليه البلاد بخيرها يتذكر نعم

الاوطان عليه فينبعث لاداء شكرها بما يستطيع من خدمتها * الا يوجد من هولاء وهولاء اغنياء لا يخافون اعداماً فيتسامحون في بذل شيء من فضل مالهم ينفقونه عَلَى انفسهم في طلب الانصاف لدى الدول التي يهمها النظر في شؤنهم * الا يوجد فيهم من ورث عن ابائه ثروة واسعة وهو يبددها فيما لا يعود عليه بمجد ثابت ولا شرف دائم فيجعل الانفاق عَلَى نفسه في السفر لهذه الغاية المحمودة داخلاً في دائرة اسرافه * ياعجباً ما هذا الخمول ولم هذا الانزواء للذهول عما رزئت به اوطانهم كيف واسنة الحوادث مصوبة الى افئدتهم والسنتها تلغ في دماء قلوبهم اللعوز والحاجة كيف وانا نعرف فيهم الاغنياء والموسرين ومن لا تنفذ ثروتهم الا بايدي اعدائهم المتغلبين اذا استمروا في تماديهم هذا * اللشح والحرص كيف وفيهم الاسخياء ومن اشرفوا في البذل عَلَى الاسراف والتبذير فيما لا ينالون منه الا مدحة في الوجه ورفعة لا وجود لها الا في الوهم * اللخوف والجبن كيف وقد بدا لهم ان الخطر في سكوتهم اشد من الخطر في عويلهم وصياحهم الراحة مفقودة والنظام مختل والحقوق ضائعة والفتن محدقة بهم والاجانب ضربوا خناجرهم عَلَى حناجرهم فلو لم يتدار كوا انفسهم بالسعي في كشف هذه البلايا لاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بل الخطر كل الخطر انما هو في اهمال مصلحة الوطن وليس عَلَى ساع في خير وطنه وملته من خطر اذا اتى البيوت من ابوابها وطلب الغاية باسبابها فمن اي شيء يخافون واي سلطة يرهبون ان لم يكن لجراح الوطن اثر في افئدتهم فاين الاحساس الطبيعي المودع في نفوس البشر الباعث عَلَى المباراة والمنافسة انا اليه راجعون .

العدالة الانكليزية

الركون الى العدالة والسكون الى الامن والراحة من الامور الطبيعية في الانسان وهذه حقيقة ادركها الجنس الانكليزي الشريف لهذا تراه يجوب الاقطار ويتقلب في الامصار حاملاً عَلَى احد عاتقيه علم العدالة وعَلَى العاتق الآخر لواء الامن والراحة رجاء ان يملك اهواء العالم اجمعين وينال الكرامة في جميع انحاء المسكونة * الا انا نعجب غاية العجب لجفلة الناس من الوان هذه الاعلام وفزعهم من الاستظلال بظلها ومن تفيائه يوما فزع للانتباذ عنه في آخر ولو لفحه لهيب جهنم هولاء الارلنديون من جنس الانكليز وعَلَى دينهم وينطقون بلغتهم ولا يوجد بينهم وبين سكان بريطانيا العظمى فرق الا فيما لا يعد الاختلاف فيه خلافا حقيقيا من عقائد المذهب الكاثوليكي والبروتستنتي ويصح ان يقال انه خلاف في فروع الدين لا في اصوله وجزيرة ارلاندا تعد جزءا اصليا من مملكة بريطانيا وسكانها يعدون عنصرا داخلا في قوام الامة وعليهم بسط جناح المرحمة الانكليزية من اجيال طويلة حتى حسب الجميع امة واحدة * ومع ذلك ترى الافا مولفة من الارلنديين يهجرون اوطانهم ويهاجرون الى اميريكا ويتخذونها سكناً لهم فراراً من عدالة الانكليز وكل يوم ترى المحترقين بنيران الحمية منهم يخاطرون بانفسهم في اعمال يقصدون بها هدم السلطة الانكليزية واهلاك القائمين

بها وفي كل يوم يحدون الاخاديد و يدفنون المواد الملتهبة (الديناميت) في اماكن مختلفة من مراكز الحكومة وطرق مسير الكافة من الانكليز تارة تحت قصر الملكة واخرى في مقاعد الوزراء وطوراً تحت دار الندوة واخر في جسور السكة الحديديه ليد مروا كل مكان بمن يقله وذاد ذلك حتى افزع الحكومة في هذه الايام وما من مدة تمضى الا وتسمع بمواقع بين عساكر المحافظة الانكليزية في ارلندا و بين الاهالي ومنها ماحدث في ثامن هذا الشهر (يونيو) من معركة بين العساكر والعامة جرح فيها كثير * هل جلاء الارلنديين و تهافتهم على الموت وسآمتهم من الحياة في معاندة السلطة الانكليزية ناشىء عن نفرتهم من العدل و كراهتهم للراحة والميل اليهما طبيعي في فطرة البشر * اظن لو كان عدلا حقيقيا يعرفه بنو الانسان لما نبت عنه الطباع ولا اثرت الانفس الموت عَلَى التمتع به ولا طلب الخلاص منه اقوام يتحدون مع ارباب السلطة في الجنس واللغة والدين ولا فضلوا عليه مهاجرة الاوطان واحتمال آلام الغربة ومشاق التطوح في اراضي لا يجدون فيها من العيش الا لماجا (ادنى ما يوكل) ولكنه عدل تفرد به الانكليز من بين الحيوانات الناطقة من احكامه ان توضع الجزية عَلَى كنائس الكاثوليك تؤديها الى كنائس البروتستانة عن يد وهي صاغرة واستمر ذلك الى عهد قريب ومن مقتضياته ان يكون الارلندي خادماً بل عبداً رقاً لامراء البريطانيين لا يتركون له من لوازم الحياة الاما يشتغل به لتنمية ثروتهم

وتوفير لذتهم * ان كان هذا العدل لا يوافق اذواق المتفقين معهم في الجامعات السابقة فكيف ترجى ملائمته لاذواق الذين لا نسبه بينهم وبينهم ولا صلة تجمعهم معهم لا في لغة ولا جنس ولا دين * هذا النوع البهيج من العدل ظهرت له اثار في البلاد الهندية * دخلها الانكليز وهي اغنى ارض في العالم واخصب تربة في المسكونة وسكانها انعم الناس عيشاً واوسعهم ثروة فاذاهي اليوم بسر العدالة كانهاصفاصف وامرات (اراضي لا نبات بها) اهاليها حفاة عراة اذلاء رضوا من المعيشة بالشظف ومن القوت بالعلف وما يجدون ما به يقنعون تراهم بعد ما سلبوا املاكهم وابتزوا ثروتهم واستأثر الانكليز بجميع ما كان لهم يطلبون التعيش فى المهن الدنيئة ولا يصلون الى ما يطلبون يكون منهم الكاتب المنشى البليغ الحاسب يقطع الارض سعياً من بلد الى بلد ومن ولاية الى ولاية ليحصل خدمة ينال من اجرها ثلاثين فرنكاً في الشهر ولا يسعده البخت بنوالها * ومن سنتين دخلوا مصر وهي ارض الراحة والسلام واهلوها في رغد من العيش وآمن من الغوائل فاذا هي اليوم ببركة العدل الانكليزي وحسن الادارة البريطانية ارض الفتن ومجالات الحروب ومضارب الخلل والفساد قضت العدالة بحرمان الاف من الوطنيين وطردهم من وظائفهم في الحكومة وهم ذوو اهل وعيال لا عيش لهم الا من رواتب الخدم الوطنية وحل محلهم في الوظائف اخلاط من الانكليز وكسدت اسواق التجارة وغلت ايدي الزارعين

عن العمل في الفلاحة بفقد الامن وعموم الاضطراب وامتنعت الارض عن الانبات باهمال الاعمال العامة واستولى الفقر علَى الفلاحين حتى عجزوا عن وفاء ديونهم وقصرت ايديهم عن اداء ما عليهم من الضرائب لحكومتهم ·

ومع كل هذا ترى الانكليز لاتاخذهم ريبة في انهم عادلون قوامون بالقسط وان حلولهم في اي قطر وسلطتهم علَى اي شعب مقرونة بالسعادة والرفاهة والامن والراحة ويعجبون كل العجب من انحراف المصريين عنهم ونفرة قلوبهم منهم ويقولون ياسبحان الله كيف يوجد بين جمعيات سرية او جهرية تتخالف علَى بعضهم وتجتمع علَى الانفة من العبودية لهم وكيف يختلج في خاطر مصري ان ينقم على الانكليز ·

ولما احسوا بحركة الخواطر واشتعال الحمية في نفوس بعض المصريين وتوجسوا الخيفة من اقدامهم علَى كلمة الحق وهي بلادنا لنا ونحن اعلم بمصلحتنا من غيرنا ولا نريد ان نكون طعمة للانكليز ارادوا ان يقيموا برهانا علَى عدلهم ويوطنوا النفوس علَى الرضاء بحكمهم ويمحوا كل ضغينة من قلوب المصريين بالقوة العسكرية كانهم باطلاق النيران وسل السيوف يودعون في القلوب محبة وفي النفوس رضاية وهي طريقة جديدة في ازالة التنافر وايجاد التالف وربما كانت سنة قديمة عند الانكليز ·

جاء في رسالة تلغرافية من مكاتب التمس في القاهرة ان العساكر الانكليزية انتشرت في شوارع القاهرة شاكية السلاح لتعزيز قوة المحافظين والحامل على ذلك ما تأكد عند حفاظ العدل من الانكليز ان في تلك المدينة جمعيات جهرية او سرية او ان فيها اشخاصا مصريين يحبون بلادهم ولا يودون ان يكون السلطان في حكومتها لاجنبي عنهم خصوصاً ان كان ظالما فيهم او ان في تلك المدينة من يخطر بباله ان يقول كما يقول اذني رجل من الانكليز ان مصلحة وطننا مقدمة على كل مصلحة او ان فيها من يحدث نفسه بان الانكليز لاخير في ولايتهم ويرى شقاء بلاده في سوء ادارتهم فهاج غيظ ماموري الانكليز وبعثهم على الشدة في طلب الوقوف على مكامن اولئك الذين لايميلون اليهم ليواخذوا كل ذي سريرة بما اختلج في صدره من الانتقاد على اعمالهم ومن عزمهم ان يستعملوا من الالات الضيائية مايشرق به النور ليلا في كل شوارع المدينة وازقتها من القلعة الى اضيق حارة فيها ليحققوا ماظنوه ويكشفوا ما توقعوه (وهم في عملهم هذا يراعون مصلحة المصريين وياسفون على حالهم حيث كفروا نعمة النظام ولم يعترفوا للانكليز بهذا الاحسان الذي تفضلوا به عليهم من مدة سنين وياسفون) ويرون من العدل ان تشرب قلوب المصريين مودتهم بقوة السلاح حتى تكون سيئاتهم حسنات وربما لايتم لهم من ذلك ما يقصدون.

باريس

يوم الخميس في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ و٣ يونيه سنة ١٨٨٤

اصغت اذان الراغبين في الوقوف على نهايـة الحوادث المصرية لاستماع ما يتحدث به بين الحكومات الاوربية من يوم دعت انكلترا جميع الدول العظام للاجتماع في مؤتمر ينظر في بعض المسائل المصرية. الا انها منعت دون حجاب الكتمان وانما كانت تصل اليها دندنـة او جلبة او غمغمة او جمجمة وكل حس يصلها يثير رواكد الاوهام فتهيج فيها غرائب الصور والاشكال والمذاعون من ارباب الجرائد في اوربا وهم اشبه بالداعين الى الالاعيب والكموديات كانوا يذهبون من الكلام وجوهاً مختلفة ويتنافسون في التمثيل والتصوير للتغرير والتهويل حتى ابرزوا الارض في صورة السماء والسماء في صورة الارض خصوصاً فيما يتعلق بالمفاوضات التي كانت جارية بين وزارتي فرانسا وانكلترا. فكان يخيل لمتصفح جرائدهم ان البحار غاصة بالمراكب والمدرعات يصادم بعضها بعضاً وان فضاء البر اعضل بالجيوش المتلاحمة لا يجد السالك من بينها سبيلاً وتجسم الخيال لارباب الاذهان الحادة فكان منهم مهندسو حرب يعينون مواقع العساكر وطرق المصاولة وجموع المتلاحمين تجول في اذهانهم يميناً وشمالاً ويموج بعضها في بعض وكانما

كانت مخيلاتهم معرضاً لجيوش العالمين وكان في كل فوج داعيا وفي كل قبيل مناديا يقول حقي هذا حقي. فهيعات تتعالى وزفرات تتصاعد وارغاء واذباد وتقطب في الوجوه وشزر في المـاظر وفي كل ذلك هول يأخذ الالباب .

والعارفون بقوة فرانسا البرية والبحرية والذين يقدرون حقوقها حق قدرها كانوا يعتقدون ان تمثال العظمة البريطانية اصبح منكس الراس منحني الظهر قد هوى بهامته الى ركبته يتوارى من الناس خجلاً بما ظهر من ضعفه وعجزه وان حكومة انكلترا ستعود بالخيبة (وان اعدت فيالق من التهديد وحجافل من الارعاد) وتقوت هـذه الاوهام بما يطنطن ارباب الجرائد وولعت النفوس بالوقوف على الحقيقة وانبعثت رسل الافكار تجوس خلال الشؤن والاطوار لتصل الى شيء من هذه الاسرار واجتمعت الارواح في الاذان لعلها تسترق سمعاً عن تلك المداونات وكمنت كل نفس في مشكاة باصرتها لعلما تستشف من وراء الحجاب ما ينبي عن الحقيقة او يقربها من الفهم والجميع واقفون وراء حجاب هذا الملعب الشائق وبعد طول الانتظار كشف الستار .

فاذا عائدة الانكليز جالسة في هيكل آمون وبيدها تاج يحكي راس الثور (تاج الفراعنة) متهيئة ان تضعه عَلَى راسها والملوك العظام وقوف بين يديها مستعدون لتهنئتها كانما كانت هـذه المفاوضات والمخابرات اعداداً وتجهيزاً لاجلاسها عَلَى كرسي ميناس الاول

ورمسيس الاكبر لا حول ولا قوة الا بالله ٠

قام رئيس النظار الفرنساوي في مجلس النواب خطيباً لبيان الاتفاق الذي عقده مع وزارة انكلترا ليرى النواب فيه رايهم وقبل ذكره انفق ما لديه من البلاغة والفصاحة وحسن البيان لاقناعهم بقبول ما اجراه٠ تلطف في الكلام وابدع وصوب وصعد واتى على ترغيب يشوبه ترهيب ويأس يحوطه امل وادرج في طي خطابه ان فرنسا قبل هذا العهد الجديد لم تكن عَلَى شيء وبه نالت اشياء واوما الى ان وزارته لو طلبت ازيد مما حصلت لادى الامر الى ممانعه الوزارة الانكليزية وافضى الخلاف الى انقلابها وربما يخلفها وزارة تطمح الى الاستيلاء على مصر ٠ وجاء فى نطقه بما حرك الطباع ومال بالاسماع حيث قال يلزم للسياسي قبل ابرام حكم ان يلاحظ جميع اطرافه ولواحقه فهذه الكلمة الرفيعه جددت في السامعين آمالاً وظنوا ان المراقبة الثنائية قد اعيدت او تقرر اشتراك فرانسا مع انكلترا في الحلول العسكري او ابرم الحكم بخروج الانكليز من مصر و بالجملة انهم فازوا فوزاً عظيماً و بعد مقدمات طويلات بين الاتفاق فاذا هو بعد امعان النظر عَلَى هذا النحو ٠ ان الانكليز سادات مصر يفعلون فيها ما يشأون وليس لنا ان نعارضهم فلا المراقبة الثنائية عادت ولا الاشتراك في التداخل العسكري او النظر الاداري حصل ولا قررت حرية القنال عَلَى اصل ثابت ولا تحقق جلاء الانكليز على صورة قطعية ولا

تأصلت مراقبة دولية كما كان يتوهم بعض السياسيين بل كما كان يلجا اليه الانكليز عند نهاية العجز عَلَى ما اشار اليه كثير من سياسييهم. فانقبضت صدور النواب فلما راى شدة تأثرهم دفعة واحدة واحس منهم القنوط حاول احياء امالهم بقوله انا سلكنا في اتفاقنا هذا مسلك سائر الدول ومن السنن المتبعة فيها تنازل كل من طلاب الاتفاق عن شيء مما عليه الاختلاف حتى يتقاربوا ويتعادلوا فيسهل اتفاقهم * يوهم بهذا انه وان ترك كل حق لفرانسا في مصر الا ان الانكليز ايضاً تساهلوا معه في امور... هذه المسامحة التي لم تكن منتظرة من حكومة فرنسا ذهبت بالظنون الى ما وراء الظاهر المعروف ومنه ما بعث مكاتب جريدة التاج بلات البرلينية في فينا عَلَى قوله يظن ههنا (في فينا) ان الاتفاق بين فرنسا وانكلترا يحتوي على شروط سرية كثير منها يسهل عَلَى الكافة ان يقف عليه ولكن لا خوف عندنا (في فينا) فان الدول ستعارض هذا الاتفاق رغماً عن كل وهم اه وليس ببعيدان يكون نعير الانكليز وهديدهم وارهابهم للوزارة الفرنساوية بالميل للالمان هو الذي دعاها لهذا التساهل الغريب بل حملها على ترك الحق بالكلية او ربما ظن رئيس الوزارة ان اشتداده في اقتضاء حقه او حق من له بهم علاقة صحيحة يوجب تغييراً في وزارة غلادستون فيقوم خلفها عَلَى الاغتصابات بالقوة وانتهاك كل حق فتضيع الحقوق الفرنساوية بلا منة من فرانسا في ضياعها فسارع الى موافقتها عَلَى ما

تشاء وطرح مصلحة فرانسا في مصر بين يديها لتكون المنة في استيلاء الانكليز على مصر للفرنساويين ولكنا نظن ان هذا النوع من المعاملة لا يفيد فرنسا اكبر مما يجلب عليها من الضرر فان التساهل وسوء السياسة الذي كان من الحكومة الفرنساوية مع بريطانيا في الهند عندما كان للامتين منافسة فيه آلت الى تغلب الانكليز على جميع الممالك الهندية ورجع الفرنساويون بخفي حنين (بوندى جري) و « شندر نيكر » ولم يمح اثر ذلك الخسران من خواطر الامة الفرنساوية الى الان والمستقبل اشبه بالماضي من الماء بالماء · وقد يقال ان الحكومة الفرنساوية حولت نظرها عن مصر الى جهة اخرى · وبقي رجاؤنا في نواب الامة الفرنساوية فانهم وان اظهروا ثقتهم بالوزارة بعد مجادلات طويلة الا انهم شرطوا عليها ان لا تبرم حكماً في المؤتمر الا بمشورتهم « اللهم حقق الرجاء » وانا في عجب من حرص مجلس البرلمان الانكليزي حيث يعارض غلادستون في هذا الاتفاق مع ان اقرب نتائجه الاستيلاء على مصر وكان الباعث على المعارضة خلوه من لفظ الاستيلاء وقد طلب البرلمان من غلادستون مثل ما طلب نواب فرانسا من وزيرها · اما حقوق العثمانيين والمصريين فلم نر لها بين المتفقين ذكراً اللهم الا ان يقوم اربابها على المطالبة بها · عند ذلك نرى لها فصلاً بين هذه الابواب

الاتفاق

عهد بين وزارتي فرانسا وانكلترا تواطاتا عليه ليكون موضوع البحث في المؤتمر واشرنا الى ان غايته تنازل فرانسا عن جميع حقوقها في مصر ونفض يديها من كل مصلحة لها فيها والاعتراف لانكلترا بالسيادة عليها وان لم تذكر حروف السيادة وهذا مايحتوي عليه من المواد ·

الاولى ان يستمر حلول الجيش الانكليزي في الاراضي المصرية الى اول يناير سنة ١٨٨٨ (ثلاث سنوات ونصف)ثم لايخليها الا بعد انعقاد مؤتمر جديد من نواب الدول العظام يتفقون فيه عَلَى ان الاخلاء لايضر بالنظام الداخلي لمصر ولا بالعلاقات السياسيه بين الدول فان حصل اختلاف ولو من دولة واحدة ترى ضرورة اطالة المدة كان الخيار لدولة انكلترا في الجلاء والبقاء

دولة انكلترا هي الدولة التي اطلقت مدافعها علَى مدينة اسكندرية والمؤتمر منعقد في الاستانة من رجال الممالك العظيمة وفيهم نائب لفرانسا ولم توقر المؤتمر ولم تراع حرمة الدول ولم تتفق مع واحدة منها علَى العمل الذي باشرته فهل يعجزها في خلال هذه المده الطويلة ان تستميل دولة من الدول اليها حتي اذا انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات ونصف ذهبت الى ان اخلاء القطر المصري من العساكر الانكليزية

يخشى منه عَلَى نظام البلاد او سلم اوروبا فيكون حجة لانكلترا في اطالة المدة وان خالفها بقية الدول ومنطوق الشرط يؤيد حجتها * وكيف يمكن لبقية الدول اذا خالفت احداها ان تلزم دولة بريطانيا بالخروج من ديار مصر بعد ما غلت اياديها بتقرير هذا الشرط وكتبت على نفسها ان الجلاء لايكون حتما الا اذا اتفق جميعها · السياسات في اوربا سريعة الانقلاب والمنافسات لاتقف عند حد يحيط به النظر ومطامع كل من الدول لاتنتهي عند غاية فليس ببعيد بل هو اقرب من كل قريب ان توجد دولة من دول اوربا تشد عضد انكلترا على دعوى ان اخلاها لمصر يحدث هزة في سلام اوربا وربما تكون تلك الدولة هي الدولة القوية التي يصعب عَلَى سائر الدول مخالفتها ولا تجد فرانسا عند ذلك موئلا تلجا اليه سوى الرضاء والتسليم · اذا فرضنا عجز انكلترا عن استهواء دولة اوربية توافقها على المكابرة في احوال مصر وان سياسة اوربا وقفت عَلَى حالتها في وقتنا الحاضر وان جميع الدول تحالفت على قول الحق فهل تعجز دولة بريطانيا وهي هي عن ان تثير شغبا في بعض ارجاء المصرية بان تغري مالطيا بقبطي او روميا بفلاح او حمار فتسيل قطرات من الدماء تخيل كل قطرة منها بحرا وتنادي ان للفتن مثارات وللعصيان امارات والنظام في خطر ولها حق المحافظة عليه الى ان تنقلب ارض مصر جنة يكون فيها امم العالم اخوانا على سرر متقابلين ولو اعتبر المسيو جول فري بالمعاهدات التي عقدتها انكلترا مع

السلطنة التيمورية وغيرها من ممالك الهند وكيف اقدمت تلك الدولة على نقضها ولم تبال فيه بعهد ولا ذمة لظهر له ان نقض روسيا لعهدها مع بولونيا ليس شيا يذكر بالنسبة الى خفر انكلترا لذمها مع تلك الممالك العظيمة · لوتامل هذا الوزير فى الاعمال الانكليزية للام نفسه في الاحتجاج بشرف انكلترا على خلو غرضها واخلاصها فيما واثقته عليه · ان لم يكن في خاتمة الشرط سر فلم اهتمت بها الوزارة الانكليزية والحت على تثبيتها · ان لم يكن لها غرض في استعمالها وقتها فلم اصدرت اوامرها بمد سكـــة الحديد من سواكن الى بربر على نفقة الحكومة البريطانية · ان كان لمسيو جول فري ثقة بموسيو غلادستون واعتماد على عفته وطهارة ذيله فمن يضمن له بقاءه في رئاسة الوزارة الى نهاية المدة حتى يوفي بعهده · ان استعفت وزارة غلادستون لعلة داخلية او حادثة خارجية وخلفتها وزارة تحت رئاسة اللورد شورشيل او اللورد سالسبوري وهما من الطالبين للاستيلاء على مصر او اعلان السيادة الانكليزية عليها فاى مانع يمنعهما عن الاستفادة من هذه الخاتمة السواى في مقصدهما المعرف ·

المادة الثانية الغيت المراقبة الثنائية وسيعوض عنهـــا بتوسيع السلطة لقموسيون الدين العمومي فيمنح حق الاطلاع على مصاريف الحكومة والاعتراض على مايزيد منها عن المقرر في الميزانية ويكون له ذلك من ابتداء سنة ١٨٨٥ وميزانية تلك السنة تحصرها حكومة انكلترا

وتعرضها على المؤتمر الدولى ليقرر ماتحو يه عَلَى ان يكون قانونا للنفقات لايخالف الا لضرورة تخرق النظام وفيما بعد سنة ٨٥ يخول لصندوق الدين حق مساعدة الحكومة المصرية على تحضير ميزانيتها السنوية بمعني انه تعرض عليه قبل تقريرها ليبدي فيها راية الا ان ما يكون له من الراي في جميع الاحوال ليس الا استشار يا محضاً لا ينقض ولا يبرم فاذا انجلت العساكر عن مصر يكون له حق المراقبة على تحصيل الايرادات جميعاً وضبطه عَلَى قواعد صحيحة وطرق منتظمة وبهذا يحوز حقوق المراقبة الثنائية ما عدا الحضور في مجلس النظار ورئيس القمسيون في جميع الاحوال يكون انكليزيا * ان كانت مراقبة قمسيون الدين عَلَى تحصيل الايرادات لا تكون الا بعد انجلاء الجيش الانكليزي افلا يكون هذا املا من الامال ربما لا ينال وهل يكون فيه عوض حقيقي عن المراقبة وهو من رسوم الخيال و بينه و بين الثبوت امد غير قصير · ان رضيت الامة الفرنساوية بتنقيص فائدة الدين لهذا الامل الموهوم فقد خسرت كما قالت جريدة لاجوستيس خسارة محققة لوعد لا كافل لها بوفائه

المادة الثالثة احماء مصر والمكافلة لها « ما يعبر عنه بالحيادة » بان تجعل حكمه في افريقيا عَلَى اصول حكومة بلجيكا في اوربا وتحرير القنال اي اباحته ممراً لجميع مراكب الدول من اي نوع كانت فان كانت لدولتين متحاربتين ضرب لبقائها فيه مدة لا يسوغ فيها انزال عساكر

او ذخائر على حافتيه ولا تباح المناوشة فيه ولا عَلَى القرب منه ولا فوق شي من المياه المصرية وان كانت الدولة العثمانية احدى المتحاربتين الا ان شيا من هذه القيود لا يحذر اخذ الاحتياط للدفاع عن مصر نفسها اذا دعت اليه احوال واذا الحقت مراكب دولة من الدول ضررا بالقنال الزمت بتعويضه وعَلَى حكومة مصر ان تهيى ما يمكنها من تنفيذ الشروط عَلَى المراكب الحربية مدة الحرب ولا يجوزان يبني عَلَى حافات القنال ولا على مقربة منه معاقل وحصون وهذه الشروط جميعها تقرر ويجري حكمها بعد جلاء العساكر الانكليزية عن وادي النيل* وفاتحة هذا الفصل تنطق بان الانكليز ان قصر بهم السعي عن التملك في الاراضي المصرية فقد هيأوا كلاليب لاختطافها من ايدي المسلمين والانقلاب بها الى قوم آخرين كما اشرنا اليه في موضع اخر · هذا الذي صرح به من تشكيل الحكومة في مصر على مثال حكومة بلجيكا هو الامر العظيم الذي نوهه مسيو جول فري وقال انهُ من اجل احكام السياسة واسماها · وصحيح العقل يرتاب في كونه حكما سياسيا فضلا عن كونه ساميا لمايلا حظ فيه من عواقب المكالبة والشحناء بين الامم الاوروبية الى اجيال بعد مانقرر لديهم ان الشرقي لايليق به ان يستقل بحكم نفسه · فان خدعه الظاهر فربما يرى فيه خيرا لفرانسا او لاوربا بمعنى انه افضل لها من التملك الانكليزي اما المسلم فيراه نكاية للمتـه والشرقي يجده خرابًا لبلاده · هذا الاود الذي ظهر في سياسة مسيو

جول فري لايقومه الا حمية الدولة العثمانية واشتدادها في حفظ مكانتها السياسية وحرص مجلس النواب الفرنساوي على حماية المصالح الفرنساوية التي يسهل صونها بشي من العزيمة وبصيص من البصيرة ولله الامر يفعل مايشاء

الباب العالي

روت جريدة الدالي نيوز خبراً يسر كل مسلم يهمه نجاح الدولة العثمانية ويرى عزته في عزتها وذلك ان الباب العالي يابى ان يرى جيشاً انكليزياً حالاً في مصر ويرغب اذا اشتد العصيان ان يفوض الامر الى الخديوي الذي يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه . وكل شرط يومي الى جعل مصر تحت حماية اجنبية فليس عند الباب العالي في موضع القبول لانه يكون تمهيداً لاضعاف سلطة السلطان على تلك البلاد ويمكن ان يقبل الاتفاق الفرنساوي الانكليزي في غير هذين الامرين (الحلول الانكليزي والحماية الاجنبية) وورد في رسالة من مكاتب جريدة نوفل بريس ليبر الباريسي محادثة جرت بينه وبين احد السياسيين من الروس نقلتها جريدة التان فيها ان دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا في مطامعها وتؤيد الدولة العثمانية في مطالبها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين في المسئلة المصرية وفي الاتفاق المنعقد بين دولتي فرانسا وانكلترا .

كم حكمة لله في حب الحمدة الحقة

العالم الانساني كتاب المعتبر وسفر المستبصر وكل قرن من قرونه صفحة وكل جيل من الناس سطر فيه او جملة ولنا في كل ما خطه القلم الالهي اية وعبرة. اول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا عَلَى احوال الشعوب في اطوارها المختلفة وادوارها المتبدلة فترى امماً علت وسمت وحلقت في جو المعالي وجازت في الرفعة مسارح النظر ثم انحدرت بعد هذا وتدهورت وعفت رسومها ولم يبق لها اثر الا في الروايات والاحاديث ومنها اجيال كانت في ثني العدم ثم اكتست حلية الوجود واخذت من الاجتماع الانساني مكان الهامة من الجسد ثم انطوت واخنت عليها امهات قشعم ومنها ما نراه الى اليوم يسحب مطارف العزة ويشرف على العالم بالامر والنهي من شواهق القوة. فمن الناس من تتجلى له هذه الشؤن وتلك الاطوار كما تعرض عليه التماثيل ينبسط لبعضها اذا اعجبه و ينقبض للاخر اذا انكره وهو في غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها * فان سئل عن السبب قال سبحان الله هكذا كان وهكذا يكون وماهو الابخت يسعد فيسعد به السعداء و ينحس فيتعس به الاشقياء. ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف عَلَى ما هيأه الله من الاسباب التي تتبعها احوال الامم في صعودها وهبوطها و يعلم ان ما سيق من الخير لامة انما كان بايدي احاد من اماثلها جدوا وجاهدوا وبما بذلوا من نفائسهم وانفسهم فازوا بتأصيل المجد لشعوبهم وبني جنسم ويرى لاولئك الاعلام ذكرًا يرفع ومكانة من القلوب تحمد وتميزا عند الخلف بالكرامة وهم لم يخالفوا الناس في جسومهم ودمائهم وانما تقدموهم بهممهم وقد يسوقه الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر فاذا اخذ مأخذهم واستقام عَلَى طريقهم فلا يكاد يخطو بعض خطوات ومبدا المسير تحت نظره حتى تتعثر اقدامه في اياد مقطعة وروس مجذوذة واشلاء مبددة وشعور

منثورة وصدور مدقوقة ويشهد الطريق مضرسة بقبور الشهداء من طلاب الحق والناهجين في منهاجه ولا محيص عن سلوكها وتبدو له غابات وادغال يرجع اليه منها صدى زئير الاساد وزمجرة الضراغم ولا بد له من اختراقها هكذا تتكشف لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاولة المخاطر ادناها والموت الشريف اقصاها واعلاها . فتارة يخور عزمه ويضعف همه فينكص عَلَى عقبيه ويرتد الى اسواء حاليه ويرتع في مراتع امثاله حتى يروح الى عطنه الاولى به وهو العدم . وتارة يوحي اليه الالهام الالهي ان الشخص في خاصته والامم في هيئاتها ونوع الانسان في مجموعه تطالبها صورة الابداع باعمال شريفة دونها اجهاد الانفس في السعي وحملها عَلَى ما لا تهوى ومغالبة الاهوال والغوائل وفيما اودع الله الانسان من القوى العالية والخواص السامية اكبر مساعد عَلَى ما تندفع اليه الهمة وتنبعث له العزيمة . ان من احياه الله بالحياة الانسانية كلما هاجمته المصاعب لا يزداد الا حرصاً عَلَى قهرها كما ان صاحب الشمم لا يزيده الخصام الا حدة في الجدال واصراراً عَلَى اقناع المخاصم . وكثير ممن عَلَى شكل الانسان يحيى حياته هذه بروح حيوان اخر وهو يعاني فيها من الشقاء اشد مما يعانيه الانسان في ابراز مزايا الانسان . ان صاعد الجبل ربما يجد شيئاً من التعب ويخشى مقترسة الكواسر ولكن قد ينجو منها ويستريح عَلَى القنة ويعتصم بمكانه من الرفعة وتقصر عنه يد المتناول اما من اخلد الى السفل فحظه من الحياة خوف لا ينقطع واشفاق لا يزول كل لحظة توعده بالسقوط في صيد الصائد والوقوع بين انياب الغائل . مات من الناس كثير في طلب العلا ولم ينالوا وبلغ كثير من الطالبين غاية ما املوا ولكن هلك بالفتك اضعاف هولاء وهولاء ممن رئموا الخمول ورضوا بالحياة الحيوانية . هذه احاديث الحق ونفثات الروح الزكيه تبعث من ايده الله ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتفاء اثر الماضين الى اشرف المقاصد فاما وصل واما مات كما يموت الكرام .

لم تنل امة من الامم مزية من المزايا المحمودة عند بني البشر سواء في العلوم

والمعارف او الاداب والفضائل او القوانين والنواميس العادلة او العسكرية وقوة الحماية حتى خرج احاد منها الى ما تخشاه النفوس وتهابه القلوب وسلكوا تلك المسالك الوعرة فبلغوا بامهم اقصى مـا بلغت بهم همهم مع الاعتماد عَلَى العنـاية الازلية في جميع سيرهم ·

ماذا يريد العاملون في خدمة الامم او النوع الانساني والمنفقون لحياتهم في اعمال فادحة يعود نفعها عَلَى من تجمعه معهم جامعة الامة او الملة او يشاركهم في النوع · اليس قد جعل الله لكل شيء سبباً · اليس من سنة الله في عباده ان لا تتجه الارادة البشرية الى حركة تصدر عن المريد الا بعد تصور غاية تعود الى ذاته وبعد اليقين او راجح الظن بانه يستفيد الغاية من العمل · فان كان الاجل يذهب في مساورة الالام الروحية والعمر ينفذ في مناهد الاوصاب البدنية فماذا يقصدون من اعمالهم · ان كان يوجد في ابناء جلدتهم وذوي ملتهم من يساعد حوادث الكون عَلَى ايلامهم وممانعتهم في مقاصدهم وصدهم عن السعي فيما يرجع خيره الى انفس المعارضين وبثخن فيهم جراح اللوم والتقريع والشماتة والتشنيع او يدافعهم بالمكافحة والمنازلة فما الذي يبتغون من جدهم وكدهم لا لذة تجتنى ولا الم يتقى فما هذا الباعث القوي الذي غلب الاهواء ولم يضعفه جهد البلاء ·

نعم اودع الله في الانسان ميلاً اقوى من كل ميل وهو اخص خاصة فيـه يمتاز بها عن غيره من الانواع وهو حب المحمدة الحقة وحسن الذكر من وجوه الحق اقول هذا تفاديا من حب المحمدة من اي وجه حقاً كان او باطلاً وطلب الثناء بالزور والغش والرياء والظهور بمظاهر الاخيـار مع تبطن سرائر الاشرار فان هذا من اسوأ الخلال وانما يرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة · المحمدة في الغذا الروحاني والمقوم النفساني وكلما قرب الشخص من الكمال الانساني تهاون بالشهوات وازدرى باللذائذ الحسية وقوي فيه الميل الى المحمدة الباقية وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال * تأمل * ان الفاضل يرى له في هذا العالم اجلين اقصرهما الاجل المحدودة من يوم ولادته الى نهاية العمر المقدر والاخر

ابعد من هذا نهاية وبدايته عند ما ينجم من عمله الصالح اثر لمنفعة تشمل امته او تعم النوع الانساني وغاية هذا الاجل عند ما يمحى اثره من الواح النفوس وصفحات التاريخ وللروح الفاضلة وجودان وجود في بدنها الخاص ووجود في جميع الابدان وهو ما يكون بحلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل ولا ريب ان هذا الاجل الطويل وهذا الوجود العريض خير من ذاك الاجل القصير وذاك الوجود الكز وحقيق بالانسان ان يبيع ما هو ادنى بالذي هو خير ٠

يطول بي الكلام فاقصر * ان الله الذي وهب كل نوع ما به كماله وضع في جبلة البشر ميلاً الى الحمد والهمهم تأدية حقه لمستحقه * الم ترَ انطلاق الالسن في كل امة بالثناء عَلَى كل من كان سبباً لها في مجد ورفعة او نهوض من سقطة او توحيد كلمة او تجديد قوة او كمال في فضيلة او تقدم في علم او صنعة و يرسمونه في الالواح و يسجلون مدحته في بطون التواريخ و يرفعون له الهيا كل والتماثيل و يحفظون له ذكراً حميدا يتناقله الابناء عن الاباء حتى ينقرضوا و ينقرض العالم ٠

اذا جحدت الامة حق العامل لها او قصرت في استحسان عمله ضعفت الهمم وقل السعي في المصالح العامة وانقبضت الايدي عن تعاطيها فهبطت شؤن الامة فافترقت وماتت ٠ ان الله جل شانه قرن كل حادث بسبب فاذا استوى لدى الامة الحسن والقبيح والطيب والخبيث والفضيلة والرزيلة والمصلحة والمفسدة وفقد منها التمييز ولم تقدر اعمال العاملين حق قدرها ولم تعرف معروفا ولم تنكر منكرا سلبت احادها الميل الى المعالي والكمالات وكان هذا اشد نكاية بها من جور الظالمين وتغلب الغالبين ٠ ظلم الظالم لا يدوم وسطوة الغالب لا تثبت اذا كان جمهور الامة يقابل الانسان بالاعتراف والفضل بالحمد فانه يوجد منها من يشتري هذه المكافات بتخليصها وانقاذها اما فقد هذا الاحساس الشريف فهو اشبه علة بالهرم لا عقبى له الا الموت والهلاك ٠ كيف لا تكون المدحة الحقة نعمة عَلَى النفوس الانسانية يسعى اليها الاعلون من بني الانسان وقد امتن الله

بها على نبيه فيما يقول له ورفعنا لك ذكرك وكيف لا تكون حقا تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الاعمال الصالحات كما سوغ لنبيه ذلك في قوله واما بنعمة ربك فحدث * قلب طرفك في تواريخ الامم اقصاها وادناها تجد برهانًا قاطعًا عَلَى ان الامة متى بخست قيم الاعمال العامة وازدري فيها بشأن الفضيلة فقدت ما به قوامها وانهدم بناؤها وذهبت كما ذهب امس ولا جرم ان الكفران مقرون بزوال النعم ·

يمكنني ان اختم كلامي هذا بكلمة شكر لهذه العصابة الطاهرة التي اقدمت في هذه الاوقات النحسة ووقفت عَلَى شفير الخطر وكتبت عَلَى نفسها السعي في توحيد المسلمين و يسرنا انا نرى عددها كل يوم في ازدياد نسأل الله نجاح اعمالها وتابيد مقصدها انه نعم المولى ونعم النصير ·

الانكليز والاسلام

للحكومة الانكليزية (عدو المسلمين) عداء شديد لالتهام الممالك الاسلامية · تغذ المسير الى آرابها منها سالكة جادتها المعهودة من اللين والموار بةوالخديعة والمخاتلة فان بلغ بها السعي حدا من الغرض فذلك · وان عجزت اخذت طريقا اخر لانتزاع قطعة ارض من ايدي المسلمين باية وسيلة وتسليمها لقوم من سواهم ايا كانوا كأن لها لذة في نكاية اهل هذا الدين وكانها تبتغي السعادة في تذليلهم ومحو مايكون من ملكهم وكمال بهجتها في ان تراهم اذلاء عبدانا لايملكون من امرهم

شيئا وفي تصانيف غلادستون وخطبه الضافية ايام الحرب العثمانيـة مع الروس ومقالات اشباهـه نبأ بل اصدق الانبا عمـا تكنه صدور الانكليز من العداوة للمسلمين ٠

لهذه الحكومة طمع التمكن في ارض مصر ولها من كل حبل قبضة وفي كل سبيل خطوة لتنال مطمعها ٠ وهمتها اليوم في ارضاء بعض الدول عن استبدادها بالامر في مصر بما تسول لسياسييها من اوهام المنافع وخيالات الفوائد وفي تشبيط بعضها بالمرواغات والتهديدات ٠ فان بلغت همتها مبلغ القصد فهو خير ماتطلب والا عقدت عزمها عَلَى نقل الولاية في مصر من ايدى المصريين والعثمانيين الى ايدي اقوام اخرين ٠ هذا ماتشير اليه جريدة الدالينيوز الوزارية « الانكليزيه » عند كلامها عَلَى قنال السويس حيث تقول يمكن القطع بحياد القنال عَلَى الاساس الموضوع في تلغرف اللورد غرانفيل المرسل الى الدول في ٣ جنفيه سنة ١٨٨٣ وليست تلك الحيادة الا حكما من احكام النظام الذي وضعته الوزارة الانكليزية ليكون قاعدة تقوم عليها هيئة الحكومة المصريه بعد جلاء العساكر عنها ٠ ولكن لايرى الانكليز في حيادة القنال وحدها ضمانة صحيحة لوقاية مصر من غارة دولة اجنبية عليها ولا كفالة كافية لاستقلالها بل يمكن ان يذهب الراي الى ضرورة حيادة مصر نفسها بان تحول حكومتها الى حكومة سويسية او بلجيكية في افريقيا وتوضع تحت حماية الدول عموماً فتومن الاغارة

عليها من احداها اذا ال الامر الى هذه الحالة« والعياذ بالله »فهل يسمح ارباب الحماية او السيادة بتفويض اعمال الادارة والقضاء والمالية للمصريين العارفين بشؤن بلادهم · كيف نظن هذا وقد سجل عليهم الانكليز انهم اضعف من ان يقوموا بعمل جزئي اوكلي في خدمة اوطانهم وان من الضروري لحياتهم ان يكونوا آلة صماء في ايدي غيرهم من الاوربيين · قد يعقب ذلك لو حصل تشكيل مئين من المجالس في القطر المصري كلها تشبه المجالس المختلطه اما مجالس الفصل والقضاء ابتدائية واستئنافية فالامر فيها بين واما ادارة الداخلية والمالية وفروعهما فلا تستقل بها دولة من الدول فان طبيعة الامر تاباه فلا يتولى اعمالها الا مجالس مؤلفة من اقوام مختلفة الاشكال واللغات متبائني الحكومات · ولو تفضل السائدون عَلَى المصريين عند بداية العمل لسمحوا بان يكون في كل مجلس واحد منهم الى زمان محدود ·

اولئك الاعضاء الاجانب وهم نواب دولهم لايكون سيرهم الا كما سار اخوانهم من قبل · كل منهم يستدعي من ابناء جلدته من يستخدمه في وجه من وجوه الاعمال التي يولي النظر فيها وتقع بينهم المنافسات ثم تكون المحاباة كل يتغاضى عما ياتيه الاخر ليتغاضى الاخر عنه فلا تكون مدة حتى تضيق ارض مصر بالاجانب ولا يعود فيها مقر لوطني هذا الى مايتبعه من اقامة عسكر مختلط للمحافظة في المدن والاقاليم · فلا يبقى للمصريين الا خسائس الاعمال يفلحون الارض

و يعانون الاعمال الشاقة ولكنهم اجراء عسفاء لغيرهم يودون ثمرات مايكسبون الى من لايعرفون ويخرجون عن جميع ما كانوا نالوه في الازمان الاخيرة من عهد محمد على الى الان · ولا يمر زمن طويل الا ويؤلون الى مآل وحشي اميريكا ينحسرون الى بعض الاطراف القاصية عن العمران او يدافون في غمر الاجانب فلا يوقف لهم عَلَى اثر صحيح وتصير الاراضي المصرية ماهولة باخلاط من اجناس مختلفة كما في اراضي امريكا الجنوبية والشمالية و يقوم لفيف اولئك الاغراب مقام ابناء الارض الصادقين وهذا مما لايسر عاقلا « وان راق في نظر بعض المباركين » واملنا في الدولة العثمانية ان تقوم عَلَى قدم ثبث عليها الاسلاف الاولون وتقدم بعزيمة ثابتة عَلَى المطالبة بحقوقها في مصر واعادتها الى حالتها الاولى قبل التداخل الانكليزي ثم تلقي بزمام الحكومة فيها الى ذوي عزم من المصريين صيانة لحوزة الاسلام · وفي الظن ان دولة الروسيا لاتفوتها هذه الفرصة لمساعدة العثمانيين لتستميل اليها قلوبهم ولا تختلف عنها دولة فرانسا فان مصالح الدولتين في فتوحاتهما بالبلاد المشرقية تقضي عَلَى السياسيين فيهما « ان كانوا كما يقال سياسيين » بالاتحاد مع العثمانيين

الباب العالي والانكليز

يهم المسلمين في كل ارض امر مـايجري في مصر بل تذهب نفوسهم حسرات كلما راوا او سمعوا ان جندياً اجنبياً يجول في نواحيها مقاتلاً او حامياً وليس شان مصر عندهم كغيرها من البلاد فانها بهرة الاسلام وباب الحرمين الشريفين فكل نازلة بها ترزا الدين وتصدع من اركانه والمسلمون في قلقهم هذا ينظرون الى الدولة العثمانية ويقلبون وجوههم في سماء سلطتها الحسية والمعنوية يرجون منها عزمة ثابتة تنقذ بها الاراضي المصرية من تبوى الاعداء ويحفظ بها شرف المسلمين ومكانتهم بين الامم وتصان بها ولاية الاسلام من السقوط في حبائل هذه الدولة الداهية « دولة الانكليز » التي اخذت عَلَى نفسها ان تبيد ولاية هذا الدين وتحول حابله عَلَى نابله * هذا فضلا عما يراه كل مسلم من ان عزة الدولة العثمانية وشوكتها ليس الا بسلامة ملكتها عَلَى مصر فان قضي فيها الامر لغيرها « والعياذ بالله » اصبحت حقوق العثمانيين في جميع ممالكهم معرضة للخطر * فهذه دولة الانكليز كمرض الاكلة يظهر اثره ضعيفا لا يحس به عند بدئه ثم يذهب في البدن فيفسده ويبليه بدون ان يشعر المصاب بالالم هكذا شان الانكليز في لينهم وتلطفهم وحلاوة وعودهم وتملقهم وخضوعهم يسلبون المالك ملكه بل الحي حياته

وهو ماخوذ بما يشعذون له ولا ريب في ان الاهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين في الشرق والغرب فان كل مسلم وله الحق يعد هذه الدولة دولته ولو تباعدت الاقطار. ان الهنديين الى اليوم وما بعد اليوم يباهون بها ويحسبون انفسهم في عداد الامم التي لم تذهب سلطنتها و يعتقدون ان لهم سلطانا قويا في الدولة العثمانية بل يرون ان خلاصهم من قيد الرق الانكليزي لابد ان يكون يوما مابسعيها وقد ظهرت ايام الحرب الاخيرة اثار لحمتهم معها باللحمة الملية بما لم يبق ريبة لمرتاب في شدة صلتهم بها .

لهذا كنا نعجب لسكوت الدولة العثمانية في هذه الازمان الاخيرة عند مااشتدت مقارعات السياسيين من كل دولة وتصارعوا في المفاوضات والمجادلات محاماة عما لهم من المصالح في مصر مع ان الدولة كانت احق واولى من جميع الدول بالاهتمام و بذل الجهد للمناضلة عن حقوقها الثابتة ارضاء لخواطر المسلمين عموماً واستبقاء لحسن عقيدتهم فيها وحماية عن ممالكها واهم مملكة منها الى ان اطلعنا عَلَى اعلان بعث به الباب العالي الى الدول بطريق التلغراف فيما يتعلق بالاتفاق المنعقد بين فرانسا وانكلترا في المسئله المصرية اتى فيه عَلَى بيان العواقب السيئة التي تنشأ من طول مدة الحلول الانكليزي في مصر واظهر ان مجرد تحديد المدة لا يكف الانكليز عن حرصهم وغاية مافيه انه يستتبع مداعاة الدول والدولة العثمانية مع الانكليز و برهن عَلَى

ان بقاء العساكر الانكليزية في مصر ليس بضروري في حل المسئلة فان كانت الدول لاترى في العساكر الاهلية كفاية لصيانة البلاد من الخلل فالباب العالى مستعد لارسال العساكر اليها على مانقتضيه حقوقه فيها كما عرضه على الدولة البريطانية وجرى البحث فيه ولكن حال دون الاجراء موانع سياسية . فان لم تقبل الدول ان يستقل الجيش العثمانى بحل هذا المشكل فانه يعرض عليها ان يحل مصر جيش مختلط يؤلف من عثمانيين وفرانساويين وانكليز وايطليان واسبانيين والى الدول تعيين الاجل في الوجهين وزاد الباب العالي في اعلانه هذا خدشا لخواطر الانكليز حيث قال ان الانكليز قد انهوا اعمالهم في محو العصيان وتثبيت سلطة الخديو الا انهم لم يأتوا في تحسين حال مصر وتقويم نظامها الا بما فيه اجراء بعض مقاصدهم السابقة

وانا نقول كما يهتف به كل مسلم ان من فروض الدولة العثمانية ان لاتدع وسيلة للذود عن مصر وكف يد الانكليز عنها وان تكون همتها في ذلك كهمتها في الذود عن نفس الاستانة وليس لها ان ترهب هذه الرعود وتلك البروق التي لاتعقب مطرا * ومن الحق ان نقول ان في مكنة العثمانيين ان يقوضوا هذا البيت البلوري « بيت العظمة الانكليزية» بحجر واحد فاذا اشتدت الازمة تيسر لهم السعي في الوئام بين الايرانيين والافغانيين والبلوجيين ولا يكلفهم هذا الا كلمتين يستندان الى اصل ديني قويم وعندها يعرف الانكليز مقام انفسهم في

الاقطار الهندية · والممالك المشرقية · هل تسلط الانكليز في الاراضي الهندية الواسعة الا بسبب الخاصمات المذهبية التى كانت بين الافغانيين والايرانيين ولو نظرنا اليها نظر التحقيق لما رايناها مما يوجب شق العصا وتفريق الكلمة ولا ريبة عندنا ان رفع الشقاق وتجديد الوفاق بين تلك الامم ايسر شيء على الدولة الشمانية لما لها من المكانة العليا في نفوس المسلمين قاطبة · ولا يظن ان اعتصام الانكليز في جزائر بريطانيا والهند يقصر بالعثمانيين عن النكاية بهم لانقطاع السبل بين هولاء واولئك وانسداد المسالك بين الممالك العثمانيه والانكليزية فان الظن يختلف عند وجود الاتفاق بين الافغان والايرانيين واتحاد كلمة الفرس مع العثمانيين * هذه طريق محمرة وبندر عباس الى بلوجستان مفتوحة للسالك مطروقة للسابل وهي الطريق التي سلكها اول جيش اسلامي بعث به الحجاج بن يوسف لفتح السند · ان هذه لجولة لو كانت لاثارت في وجوه الانكليز غبرة يضلون فيها عن رشادهم · ومعلوم ان الحي لايسلم نفسه للموت بلا مدافعة مادام قادرا عليها · يكفي لقيام مليون من المقاتلة الافغانيين والبلوجيين تحرك خمسة آلاف عثماني الى احيائهم · لست ابالي ان اقول الحق اذا حصل التساهل في امر مصر انفتح باب المطامع لكل دولة صغيرة او كبيرة وعزت بعد هذا وسائل التلاقي فلتات الدولة العثمانيه عَلَى ما في الوسع ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

جريدة اودة اخبار وجريدة

= اميرتا بازار برتركا الهنديتين =

اسف يصهر الجسم ويذيب الفؤاد وحسرة تفلذ الاكباد علَى قبيل من امة او شخص منها ذي همة يستعين الله في عمل ينقذ امته من ضعة او يرجع اليها بمنفعة ثم يوجد له في وجهة عمله من تلك الامة من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل الفاضل فيقطع عليه اسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة او منفعة عاجلة وانما مثل من يكون علَى هذه الصفة في الامة كمرض السكتة في البدن او الصرع في الرأس او الخبل في العقل او الشجى في الحلق او القذى في العين · هؤلاء هم الذين يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله والحق ويبغونها عوجا ·

لو كان في هؤلاء العصال الطباع « الاعصل المعوج في صلابة » بقية من الانسانية او اثر من العقل يدركون به ماينشأ عن اعمالهم الجزئية من المضار الكلية ويشعرون بهذا الجرم العظيم الذي يدك الرواسي ويهد الشامخات لذابوا خجلاً واستتروا عن الناس بحجاب العدم وتمنوا لو محيت اسماؤهم من لوح الوجود · ولكن يظهر من جراتهم على خطيئتهم انهم ذهلوا عن انفسهم فلا يعلمون ماذا يعملون · هذا العمل الصغير

الذي يجلب على الامة شراً كبيراً او يحرمها من خير عام ليس في وسع حكيم من البشر ان يحدد درجته من الخسة والسفالة ولا في طوعه ان يحيط بكنه الفساد الذى ضرب في طبع شخص يقدم عَلَى مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفي ببيان حاله سوى ان يقال خائن ملته ووطنه

اولئك اشخاص كثيراً ما يوجدون في الامم المعتلة يشبه ان يكون منهم صاحب جريدة « اوده اخبار » التي تطبع في « لكنهو » من بلاد الهند انغض رأسه ورفع عقيرته عَلَى جريدة « اميرتا بازار برتركا » التي تنشر في بلاد ـ بنجاله ـ كتبت هذه الجريدة «البنجالية» فصلاً بينت فيه سوء معاملة الحكومة الانكليزية الهندية وخشونتها عَلَى الهنديين واهانتها لهم واجحافها بحقوقهم وحرمانها لهم من خدمة اوطانهم واثقالها عليهم بالضرائب الباهظة واستئثارها بجميع ما يكسبون من كدهم وتعبهم مع احتكارها جميع ينابيع الثروة مما اوجب شدة الضيق والضنك في عامة الاقطار الهندية وكان سبباً في انحراف قلوب الهنديين عن الحكومة ونفرتهم منها . ثم اتبعت هذا بقولها فليس لحكومة الهند بعد ذلك كله ان ترجو مساعدة رعاياها لها عند وقوع حرب بينها وبين الروسية ولا ان تومل في العساكر الهندية بذل ارواحهم في الدفاع عنها فان الجند يشركون الاهالي فيما الم بهم ويألمون كما يألمون! . وليس من الحق لحكومة بريطانيا مع سلوكها هذا ان تلوم الهنديين اذا اثروا

عليها دولة الروس واختاروها حاكمة لهم · هذا مجمل ما قالت واقل ما كان يترتب على هذا الكلام وامثاله من الفوائد هو تنبه الحكومة الانكليزية لما جرحت به قلوب الاهالي واخرجت صدورهم فتعدل مشربها وتقوم منهجها مع الهندبين وترفع عن كواهلهم بعض الضرائب الثقيلة وتمنح الوطنيين بعض الخدم في الدوائر الملكية او العسكرية وتكف عن اهانتهم وتذليلهم ليكون لها عدة اذا دهمتها ام صبور « الداهية او الحرب الشديدة » من جهة الشمال ·

وكان على الهندبين خصوصاً ارباب المعارف منهم ان يويدوا القائل في قوله او يحمدوا له سعيه او يتركونه وشانه لعلما يستتبع ذلك خيراً كثيراً او قليلاً لاوطانهم وابناء امتهم ولكن واأسفا بدل هذا يلتوي صاحب جريدة « اوده اخبار » ويجور عن جادة الصواب في تقريع الجريدة البنجالية وتعنيفها ثم يطلب من الحكومة الانكليزية ان تمحو حرية الجرائد من بلاد بنجالة · وهذه الجريدة وان وصفها مقوم الجرائد في الهند « مدير المطبوعات » بانها متملقة معمعة للحكومة الا انه ما كان يخطر ببالنا ان تنحط وتسفل الى هذا الدرك ولا ان ترتكب في تملقها هذه الجريمة العظمى وهي طلب محو الحرية في البنجالة وصد ابناء وطنها عن التنبيه عَلَى بعض حقوقهم وشكاية شيء من ارزائهم لا حول ولا قوة الا بالله ·

باريس

يوم الخميس في ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ و١٠ يوليه سنة ١٨٨٤

ليس في التعلات اعجب مما يتعلل به الانكليز ولا في المحاورات اغرب مما يستدلون به لا مقدمات بينة ولا حجج قيمة واقوى ما يكون من ادلتهم اولى به ان يكون في معرض الهزل من ان يكون في جانب الجد ولكن اغرب من جرأتهم عَلَى الجهر بمداعبة الامم بما هو اشبه بالترهات اصغاء الاذان لما يقولون وانصراف الاذهان عن بيان الهجر فيما يوردون واظهار الوهن فيما به يتعللون لينهتك الستار عن اغراضهم وتظهر خفيات مقاصدهم وترتفع الريبة عمن يخدعون بملاعباتهم .

ان الانكليز ساقوا جيشاً الى مصر وبوأوه ارضها مدة تزيد عَلَى سنتين فكان حلول جيشهم سبباً في انحلال النظام واختلال الاحكام وعموم الفساد في ارجاء البلاد حتى صارا الناهبون وقطاع الطرق عَلَى نحو الجيوش المنظمة سرايا وكتائب تزحف للغارة عَلَى القرى والبلدان ضاحية بلا استتار وسرى الاختلال في عموم الاعمال لادارية والقضائية ففقدت الامنية عَلَى الحقوق كافة وسقطت البلاد سبب ذلك الى درك من الضيق والعسر لم يكن يخطر على بال * وما كان شيء من تلك الفظائع ولا واحد من هذه المفاسد ولا قليل من

هاته الشدائد موجوداً ايام الحركة التي سموها فتنة عسكرية واخترعوا منها دليلاً عَلَى الفوضى وزعموا فيها وسيلة للتداخل بعساكرهم * حالة مصر شاهدة عَلَى انه لم يكن للاختلال فيها اسم ولا للفوضوية اثر الا بعد ما وطيء الانكليز ارضها ومع ذلك يزعمون انهم ما اتوها الا لتقرير الراحة واصلاح النظام وازالة الفوضى ويريدون ان تمتد اقامتهم فيها الى اجل بعيد ليتمموا القصد الذي اتوا اليه وشرطوا جلاءهم عنها برسوخ الامن وانقطاع شافة الاعتداء واجتماع خواطر الاهالي على الرضى بما يرسم عليهم من السائدين في ديارهم والتسليم لما يقضى به فيهم * الا يعجب من هذه التعلة * هل يوجد ابله من اي امة يظن في المصر بين الركون الى السكينة ما دام الجيش الاجنبي متبوئاً ديارهم اليس وجود عسكر اجنبي تحت انظارهم كافياً في نفرة قلوبهم وازدياد شغبهم * الطبيعة تحكم باستحالة ما يطلب الانكليز منهم والتجربة من مدة سنتين طبقت بين الحكم العقلي وبين الواقع الحقيقي * هل يمكن سلامة خواطر المصريين من القلق بعد ما علموا ان الانكليز لم يفتحوا بلداً من بلاد الشرق الا تحت راية هذه الحجج وعَلَى هذه الطريقة التي يسلكونها في مصر وهل كان لهم سلطان في جهة من جهات الشرق الا بدعوى انهم يريدون فيها الاصلاح ثم يجلون عنها اتقياء الراحات اعفاء الذيول .

ماذا يريد الانكليز من تقرير الراحة بعساكرهم في مصر هل

يريدون مكافحة اللصوص حتى يقهروهم عَلَى طرح السلاح و يقوا الاهالي شرهم ان كان هذا قصدهم فياخيبة الامل فان شيئاً من هذه الفظائع لم يكن الا وجيوشهم نازلة بالبلاد فكانما كانت تلك الجيوش مثاراً لهذا الفساد مضى عليها سنتان وهي في معاقل مصر وهبت اعصار السوء بقدومها وكلما طال الزمن زاد الخطر وقويت عصابات الشر فماذا قيل يكون منها في ثلاث سنين و نصف الا مثل ما كان من اثرها في سنتين او اشد فتنة · فكيف يعقل ان يكون بقاؤها في مصر مفيداً لرد الامن اليها · وهل تكون علل المفاسد مجلبة للمصالح · نعم يكون هذا اذا قيل ان حضو الرمضاء يطفئها او ان وقود النار يخمدها · هل يقصدون من تقرير الراحة اخماد فتنة السودان · ان صح هذا القصد منهم فمتى سعوا اليه واي جيش ساقوه واي قوة وجهوا بها لتكسر سورة الثورة وتمحوا اثرها تهافتوا بجيش عظيم عَلَى منازلة رجل من رجال محمد احمد (عثمان دجمه) في سواحل البحر الاحمر فما كانت الا مهارشة هرت فيها العساكر وبلغ صوت وقوقة القواد الى اقاصي المسكونة وارتد بهم الذعر الى البحر وقفلوا الى ديارهم يتلفتون الى ما وراءهم خوفاً ورهبة · كان الواجب عليهم ان يتبعوا عثمان دجمه الى بربر والخرطوم حتى يبددوا جنده و يلحقوا به صاحب الدعوة فان عجزوا عن الكل فلا اقل ان يأتوا عَلَى البعض فما الذى صدهم عن سبيل القصد لو كانوا فيه من الصادقين · رجعوا وتركوا كوردون باشا في فم التنين ثم التجأوا الى

ملك الحبشة ليثيروا به حرباً صليبية تسود بها وجود ٥ الكاذبين الذين يزعمون انهم دعاة الانسانيه ورعاة التمدن · فماذا يكون من عساكرهم لو اقامت في مصر اضعاف ما اقامت اظن لا يختلف المستقبل عن الماضي الا بعظم خطوبه واشتداد نوبه ·

هل يبتغون المحافظة عَلَى حدود مصر الاولى وحمايتها من هجمات السودانيين ويقفون عند حد المدافعة ولا يذهبون الى ما وراء ذلك ان كانت هذه بغيتهم فهي بغية البقاء في مصر ما دامت مصر او السودان سودانًا لان صيال الثائرين يتوقع في جميع الاطراف من حدود مصر ما داموا قائمين بنشر هذه الدعوة بل كلما طال الزمن اشتد خطرهم وقويت اعضادهم وكل كرة لهم او فرة تقوم بها للانكليز حجة في ملازمة الحدود المصرية للدفاع عنها فلا يكون لحلول الجيش الانكليزي بارض مصر امد ينتهي ولا اجل ينقضي · فما لهم يلبسون على الدول والدولة العثمانية والمصريين بتحديد مدة الحلول الى ثلاث سنوات ونصف مع سرد الالفاظ المبهمة تقرير الراحة حفظ النظام اعادة الامنية الخ مما يسمع ولا يفهم ·

وليس من المبالغة ان نقول ان حلول الجيش الانكليزي كان وسيكون من اعظم الاسباب لقوة محمد احمد ولولا وجود العساكر الانكليزية في مصر ماتمكن الرجل من الجهر بهذه الدعوة العظيمة ولقد كان يتبرأ من نسبتها اليه ايام كانت الحكومة المصرية خالصة

للمصريين بل ما كان يجد احداً يلبي دعوته او يدخل تحت رايته · هذه تواريخ الامم وهذا سير طبيعة الكائنات ترشد المستبصرين الى ان مثل هذه الدعوة لايقوم قائمها في امة الا عند اشتداد الخطوب عليها وزحف الاغراب اليها · اى حجة لمحمد احمد في دعوة الناس اليه واي نفثة تجمع القلوب عليه اقوى من ان يقول ان الانكليز من نيتهم الاستيلاء عَلَى ارض مصر وهي في عداد الاراضي المقدسة وباب الحرمين الشريفين ومهد العلوم الدينية ودعامة القوة الاسلاميه فمن كان يؤمن بالله ورسوله فليجب داعي الله في مدافعتهم وانقاذ البلاد من رجسهم · وهذا الكلام مما يزعج قلب كل مسلم و يبعثه عَلَى الاتفاق مع صاحب النداء · هل يتوهم بعد سقوط خرطوم وجيش الانكليز حال بارض مصر ان تقف دعوة محمد احمد عند تخوم محدودة وهو الزاعم انه منقذ المسلمين · هل يبعد عند العقل ان يمتد لياق شعلته الى اقطار اسلامية يخشى الانكليز منها غائلة الفتنة كما يخشونها فى الهند · قد نرى الحالة اقرب الى المخافة منها الى الامن وسيعلم الانكليز انهم كانوا احوج الناس الى السلم وافقرهم الى القناعة ·

اي قوة تقف هذه الدعوة وتحجبها عن الانتشار بل تردها عَلَى قائلها وتذهب بها كأن لم ينطق بها لسان او يذعن لها جنان · ليس لقوة ان تأتي بهذا الاثر على احسن وجوهه الا قوة العثمانيين واولى العزم من المصريين * هل تظن دولة بريطانيا ان عقد مؤتمر لتصفية الدين

المصري يبطي سير محمد احمد او يخفف من وطأته او يرده على عقبه فتنال مقصودها وتصبح آمنة مطمئنة في ديار مصر · انها الى الان في عجز عن ارضاء الدول بقبول الاصول الابتدائية التي تحب ان تكون موضوعاً لبحث المؤتمر * ان تصفية الدين المصري يهم انكلترا وحدها ولا نظنه يهم الدول ولا يهم محمد احمد انا نري الدول خصوصاً دولة الروسيا والنمسا والامة الفرنساوية مهتمة كل الاهتمام بكشف مقاصد الانكليز والتنقير عن غاياتهم فيما كانوا شرطوه من تخصيص البحث بالمسائل المالية حتى ان شدة المعارضات وكثرة المفاوضات والاشتداد من الدول في طلب تعميم البحث في المؤتمر ليحيط بجميع فروع المسئلة المصرية احدث شكا عند صاحب جريدة التمس في انعقاد المؤتمر ودفع بالموسيو كلادستون الى ربكة شديدة فهو من امره في حيرة لا يهتدي الى ما يسكن به خواطر الدول بل ولا ما يقنع به اودآءه المخلصين بل ولا ما يوفق به بين زملائه في الوزارة لتفرق كلمتهم وتباين ارائهم · اما قائم السودان فهو في اعراض عن كل هذه المجادلات واغضاء عما يكون في عرضها من المحاولات · سواء عنده انعقد المؤتمر على رغبة الانكليز او على وفق الاراء العمومية · وهو مغذ في سيره ذاهب وراء فكره ولا يمر يوم من ايامه الا ونسمع فيه بخبر فتح او حديث زحف حتى جاءت الاخبار الاخيرة بدخوله عاصمة السودان (الخرطوم) · ورد في تلغراف من القاهرة الى الدالي تلغراف بتاريخ ٣ يوليه انه وصلت رسائل من

بعض عساكر السودانيين وهم في مدينة خرطوم الى اناس يوثق بهم في القاهرة ذكر فيها ان حامية المدينة ضعفت عن دوام المدافعة واعلن محمد احمد بتأمين جميع السكان عَلَى ارواحهم واموالهم واخذ عَلَى نفسه وقايتهم من كل ضرر يتوقعونه فبضعف الحامية وثقة الاهالي بوعد الفاتح فتحت المدينه بغاية السهولة في نهاية شهر ماي بدون سفك دم وان كثيراً من الافرنج اسلموا وان كوردون مع كونه مستمسكاً بدينه ولم يبدل دخل في امان الفاتحين وسيق الى محمد احمد محفوظاً لم يمسسه سوء وفي خبر آخر بالتاريخ عينه ان القسيس (سوقارو) وكهنة الرسالة الكاثوليكية فى السودان وردت منهم اخبار من اهالي خرطوم تفيد ان المدينة فتحت ووقع كوردون اسيراً ولم يزل الى الان في قيد الحياة .

ونقلت جريدة الدالي تلغراف ان تاجراً في القاهرة اتاه كتاب من جنوب بربر يخبره ان الخرطوم مفتحة الابواب لمن يقصدها بالتجارة وان كانت في قبضة جيوش السودان وفي رساله من مكاتب التان بسواكن ان جماعة من الوجوه في مدينة خرطوم دفعتهم الحمية للانتقام من كوردون اخذا بثار الضابطين الذين قتلهما بتهمة الخيانة (حسين باشا وسعيد باشا) فهجموا عليه وقتلوه ثم اتفقوا مع المحاصرين عَلَى تسليم المدينة فدخلوها آمنين ويزعم المراسل ان للحكومة البريطانية علماً بهذه الحادثة من زمان طويل الا انها كتمته خيفة هيجان الافكار عليها .

نحن لا يهمنا موت كوردون ولا حياته ولا راحته ولا عناؤه وانما

يظهر من كل هذه الاخبار ان خرطوم اصبحت سودانية لا انكليزية ولا مصرية فان تمكنت وزارة موسيو غلادستون من تفنيد المستفيض من هذه الروايات فربما يصعب عليها المكابرة فيما يعقبها . ان شوكة الداعي تقوى بعد فتح خرطوم وتمهد له سبل عديدة للوصول الى مصر العليا او السفلى وان تأثير دعائه يقطع مسافات بعيدة في هنيهات قصيرة . ماجت خواطر المصريين واهتزت قلوبهم جميعاً لسماع هذه الاخبار وربما نسمع بعد اليوم ان ريح الجنوب حملت قسطلاً تثيره سنابك خيل الفتنة وجاوزت به حدود مصر فان كان هذا شان الحركات في بلاد السودان فتعليق الانكليز جلاءهم عَلَى انقطاعها يشهد برغبتهم في الحلول الدائم ما بقي محمد احمد وما بقيت له خلفاء على اننا نرتاب في قدرة عساكرهم عَلَى صيانة التخوم المصرية فقد ظهرت نهاية قوتها عَلَى سواحل البحر الاحمر . نعم ربما يختلج بخواطر الوزراء البريطانيين ان يخدعوا الدولة العثمانية ويحملوها على الحكم بعصيان محمد احمد وتضليله ليحولوا القلوب عنه ثم يجنوا الثمرة كما جنوها من الحكم بعصيان احمد عرابي ولكن قد تبين الرشد من الغي وظهر للدولة العثمانية سوء طوية الانكليز وعدوانهم عَلَى حقوقها فليس من المحتمل ان تنخدع لهم مرة ثانية ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كما انه يشبه المحال ان عثمانيا يجوز سوق الجيوش العثمانية الى السودان لتذليله وعساكر الانكليز في القاهرة ثم ينتظر العثمانيون بعد انقضاء الفتنة نهاية المراوغات الانكليزية

حتي تؤول مسئلة مصر الى مثل ما آلت اليه مسئلة بوسنه وهرسك مع دولة النمسا فعلي العثمانيين واصحاب العزيمه من المصريين ان يجمعوا امرهم على كشف هذه النازلة صوناً لاوطانهم وتقية من شر ربما يحدث في جهات اخر فان قضى حرص دولة الانكليز بصد ارباب الحقوق الشرعية عن اداء المفروض عليهم جهلاً منها بمصلحة نفسها وبمصالح تلك البلاد فعلى العثمانيين ان يقيموا الحجة بسيوفهم وجيوشهم لا بالرقائم والاوراق فان هذا فساد لو اهمل لعم وعمت رزاياه ولا نظن ان دولة بريطانيا تثبت على نفختها هذه فانها ستشتغل بداخل البيت عن خارجه بعد قليل . لسنا نقول ما نقول جزافاً ولكن دعوة القائم السوداني اشربت قلوب الاكثرين في الهند وبلوجستان وافغانستان وقد علق شرر الثورة باهداب الخواطر فلا تلبث ان تلتهب فللدولة العثمانية ان تمد نظرها الى اعماق المسئلة وتقدر قوة الانكليز واهبتهم العسكرية مع ملاحظة ارتباكاتهم في ممالكهم وظهور عجزهم وضعفهم في الحوادث الاخيرة ومراعاة اراء الغالب من الدول العظيمة وبعد الاحاطة بهذا كله وهي اسهل من كل سهل تظهر عزماً ثابتاً وبأساً قوياً يليق بدولة عظيمة كدولة آل عثمان طالما ظهرت على يديها خوارق العادات ولله الامر من قبل ومن بعد .

الباب العالي

ذكرت جريدة استندارد ان معارضة الباب العالى لمطامح انكلترا ليست قاصرة عَلَى الممانعة في جعل مصر حكومة بلجيكية في افريقيا تحت حماية الدول كما في عزم غلادستون ان يعرضه عَلَى المؤتمر . بل صرحت الدولة العثمانية لسفيرها في لوندرا مرزروس باشا بانه متى وضعت لائحة غلادستون موضع البحث في المؤتمر بعثت اليه بتعليمات للمعارضة الشديدة في هذه المادة وكل مايكون من قبيلها (مايمس حقوق الدولة والمصريين) ولا نرتاب في ان الدولة العثمانية بعزمها هذا قد قامت بفريضة شرعية ومثلها من يقوم بها في مصر وفي سائر الممالك العثمانية فان كل ذي بصيرة يدرك ان صيانة جزء من ممالكها موقوف عَلَى صيانة الاخر والتفريط في شيء منها يحدث الخلل في الباقي . وكفانا عبرة ان مجرد طلب غلادستون لحرية قنال السويس حمل دولتة الروسيا عَلَى طلب حرية بوغاز البوسفور كما ذكرته الجرائد الروسية ودعا بعض سياسي الروس ان يقول ان المسئلة المصرية قد صارت الان مسعراً للمسئلة الشرقية ولا نظن شيئاً من هذا يخفى عَلَى عقلاء العثمانيين

الشرف

كلمة يهتف بها اقوام مختلفة من الناس الا ان اكثرهم عن حقيقة معناها غافلون . فئة تري الشرف في تشييد القصور والتعالي في البنيان وزخرفة الحوائط والجدران ووفرة الخدم والحشم واقتناء الجياد وركوب العربات . وفئة اخرى تتوهم ان الشرف في لبس الفاخر من الثياب

والتزين بانوان الالبسة وانواعها والتحلي بحلى الجواهر الثمينة مرصعة بالاحجار الكريمة كالماس والياقوت والزمرد ونحوها · وفئة تتخيل الشرف في الالقاب والرتب كالبيك والباشا او في الوسامات المعروفة بالنياشين وعلو اسمائها كالاول من الصنف الفلاني والثاني من الدرجة الفلانية ·

حتى انك ترى الرجل يسلب مال اخيه وينهب ثروة اقاربه وذويه او بني ملته ومواطنيه ليشيد بما يصيب من السحت قصراً ويرفع بناء ويزخرف بيتاً ويقيم له حراساً من المماليك وخفراً من الغلمان ويظن بذلك انه نال مجداً ابدياً وفخاراً سرمدياً وصح لحاله ان يعنون بعنوان الشرف · وتجد الاخر يذهب في الكسب اشنع مما يذهب الاول ليكتسي برفيع الثياب ويتزين باجمل الحلى او ليكون له من ذلك ما يفاخر به امثاله ويتخيل انه بلغ به درجة من الرفعة لا يدانى فيها ويعبر عن حاله هذا بلفظ الشرف ويتوهم انه وصل الحقيقة من معناه · ومنهم ثالث يسهر ليله ويقطع نهاره بالفكر فى وسيلة ينال بها لقباً من تلك الالقاب او يحصل بها وساماً او يستفيد وشاحاً وسواء عنده الوسائل يطلبها ايا كان نوعها وان افضت الى خراب بلاده او تذليل امته او تمزيق ملته وعنده انه رقى الذروة من معنى الشرف ·

نحن نرى هذه الاوهام قائمة مقام الحقايق في اذهان كثير من الناس ولكن لا نظنها طمست عين الحق فيهم حتى عموا عن ادراك

خطائهم وانحرافهم عن الصواب في وهمهم * ماذا يجد من نفسه المباهي بقصوره وولدانه وحوره الا يحس من نفسه انه وان حاز منها اعلى ما يتصوره العقل فذاته التي هي اعز لديه من جميع ما كسب لم تستفد شيئاً من الكمال وان جميع ما حصله فهو اجنبي عنه وليس له نسبة اليه الا نسبة العناء في تحصيله الا يرى ان كثيراً ممن بلغ مبلغه او فاقه سلبتهم صروف الرهد ما بايديهم فاصبحوا بصفاتهم وجواهر ذاتهم فان لم تكن على جانب من الكمال الانساني انخرطت في سلك الطبقات السافلة ولم يبق لهم في القلوب منزلة ولا في النفوس مكانة · ماذا يشعر به المفاخر بحليه ولباسه اذا تجرد منه وخلى بنفسه ان لم يكن لذاته حلية من الفضيلة وزينة من الكمال · الا يكون هو وعراة الفقراء سواء والا يجد من سره عند المفاخرة انه يجول مع الغانيات وربات الخدور في ميدان واحد ماذا يتصور الزاهي برتبته المعجب بوسامه ان لم يكن قبل وسمته او الصعود لرتبته على حال تجل او كمال يبجل · اليس يشعر انه لو سلب الوسام او نزع عنه الوشاح يعود الى منزلته من الاحتقار فان نال الكرامة عند بعض السذج واللقب معلق عليه اليس ذلك تعظيماً للقب لا للملقب به الا تكون هذه الكرامة عارضاً سريع الزوال بل رسماً ظاهراً لا يمس بواطن القلوب * نعم لهذه الالقاب الشريفة شان يرتفع به النظر اذا سبق بعمل يعترف عموم العالم بشرفه وكان اللقب دليلاً عليه او مشيراً اليه كما يكون لمثلها حال يسقط به الاعتبار اذا تقدمها

فعلة يمقتها العقلاء من النوع البشري وكان الوسام او اللقب عنواناً على ما اقترف كاسبه وعلامة على ما اجترم . انظر وتدبر ولا تخطي فما انت من الصواب ببعيد * ان عثمان الغازي الذي لقبه اعداؤه باسد بلاونه نال رتبة ومنح لقباً وحظي بمكانة رفيعة بين الطبقة العليا من العظماء في دولته بعد ما دفع بروحه للموت فى المدافعة عن ملته وجاهد في اعلاء كلمة دينه بما شهد له الاعداء والاصدقاء * وان بعض الامراء في ديار اسلامية علقت عليهم القاب شريفة من دولة كدولة الانكليز جزاء لهم عَلَى ما تقدموا امام جيوش اعدائهم لافتتاح بلادهم حتى مكنوا الانكليز من ديارهم وجميع المسلمين الان يكابدون الجهد في ايجاد الوسائل لخروجهم منها*

اين موقع النيشان من صدر عثمان باشا الغازي من موقعه عَلَى صدور اولئك المخدوعين اظن رجع النظر بين الموقعين يثبت لك ان النيشان يشرف بشرف العمل الذي جعل دليلاً عليه ويسقط بسقوطه . ماذا غر اولئك الواهمين عَلَى اختلافهم الا يعلمون ان الثياب المعلمة بالدم الموشاة بالنجيع الملونة بالمهج هي التي حفظت للابسيها ذكراً حسناً لا ينقطع واثراً مجيداً لا يمحى ان الذين ضرجوا بدمائهم في طلب المجد للملهم هم الذين خشعت لذكرهم الاصوات واجمعت عَلَى فضلهم خواطر القلوب الم يصل اليهم ان الذين قضوا نحبهم في غيابات الجب وانتهت حياتهم في ظلمات السجن لطلب حق مسلوب او حفظ مجد موجود هم الذين سمـا ذكرهم الى شرف الشمس الاعلَى وعلت اسماؤهم على جميع

الاسماء . اظن ان الذين كانوا في الغرفات العالية ينظرون الى جناتهم وحدائقهم و يشرفون عَلى الناس من شرفات قصورهم وقصروا حياتهم عَلَى التمتع بما نالوا لم يبق لهم ذكر ولم يكن لهم في حياتهم شان الا ما هو محصور في دوائر بيوتهم ولا يختلف عنهم اولئك الذين كانوا يسحبون مطارف الرفه ويكتسون حلل الخز والديباج ذهبوا وذهبت معهم اكسيتهم وارتدوا من حيث اتوا لا يعلم متى جاءوا الى الدنيا ومتى انكشفوا عنها * هل سمعنا ان احداً يذكر بين بني البشر بانه نال نيشان كذا وحصل رتبة كذا نعم يقولون علم وعمل وبذل ورفع ووضع وجاهد وكافح واباد وابقى وما يشاكل ذلك من الاعمال التي لها اثر ثابت . اذا ذكر اسكندر الاكبر هل يخطر بالبال ان كان له قصر او لا . اي ابله يطلب سيرة نابليون الاول في اثار قصر كان يسكنه او في خرق ثياب كان يلبسها وهل بلغ عظماء العالم ما بلغوا من مقامات الشرف بعد ما شيدوا وزينوا وترفهوا وتنعموا او كان جميع ما ينالون من ذلك بعد ان يسودوا ويفتحوا ويغلبوا وياخذوا بالنواصي * خدع قوم بالاحلام وغرتهم الاوهام ففرطوا في شؤن بلادهم وباعوا مجدها الشامخ بتلك الاسماء التي لا مسمى لها وزعموا وان لم تطاوعهم ضمائرهم انهم رقوا مكانة من الشرف وان كان خاصاً بهم بعد ما علموا ان الرتب والنياشين جاوزت حدها ونالها غير اهلها فلو انهم اصغوا لما تحدثهم به سرائرهم وتعنفهم به خواطر افئدتهم ورمقوا بابصارهم ما يحيط بهم لعلموا

انهم في اخس المنازل وابعد المزاجر وادركوا خطائهم في معنى الشرف وجورهم عن جادة الصواب في طلبه * لو احسوا بما رزئت به اوطانهم وما لصق من الذل والعار بذراريهم لطرحوا الوشاحات ونبذوا الوسامات ولبسوا اثواب الحداد ونفروا خفافا وثقالا لطلب الشرف الحقيقي

الشرف حقيقة محدودة كشفتها الشرائع وحددتها عقول الكاملين من البشر وليس لذي شاكلة انسانية ان يرتاب في فهمها الا من ختم الله عَلَى قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة

الشرف بهاء للشخص يحوم عليه بالانظار ويوجه اليه الخواطر والافكار وجمال يروق حسنه في البصاير والابصار * ومشرق ذلك البهاء عمل ياتيه طالبه يكون له اثر حسن في امته او بني ملته او في النوع الانساني عامة كانقاذ من تهلكة او كشف لجهالة او تنبيه لطلب حق سلب او تذكير بمجد سبق وسودد سلف او انهاض من عثرة او ايقاظ من غفلة وارشاد لخير يعم او تحذير من شر يغم او تهذيب اخلاق او تثقيف عقول او جمع كلمة وتجديد رابطة او اعادة قوة وانتشال من ضعف او ايقاد حمية او حضو لغيرة * من اتى عملاً من الاعمال له اثر من هذه الاثار فهو الشريف وان كان يسكن الخصاص والاكواخ ويلبس الدلوق والاسمال ويقتات بنبات البر ويبيت عَلَى تراب القفر ويتوسد نشز الارض ويضرب في كل واد ويتردد بين الربى والوهاد. هذا له حلية من عمله وزينة من فضله وبهاء من كماله وضياء من جده

يهدي اليه ضالة الالباب وتائهة الافئدة تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره وتكتنفه ذرات القلوب المتطايرة اليه ولا تنفصل عنه * له من روحه قصور شاهقة وغرفات شائقة ومناظر رائقة وجمال باهر ونور زاهر لا يكاد يخفى حتى يظهر ولا يكاد يستر حتى يبصر اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الى اعلَى عليين * حياة طيبة في القلوب وغرة مشرقة في جبهة الزمان وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * نعم قد ينبعث عليه من ارباب الطباع الفاسدة بعض الكرائه فيسلقونه بالالسنة و يرشقونه بسهام اللوم ولا تروق في انظارهم ازهار اعماله ولا انوار مزاهره لبعدها عن فهمهم وغرابتها على حواسهم لما الفوه من الانكباب علَى تلك السفاسف الساقطة التي عدوها شرفاً وحسبوها مجداً وقد بيناها كما كشفتها الشرائع واراء العقلاء وانما مثلهم مثل الجعل ينفر من رائحة الورد و يالف روائح القذر * لا يبعد ان يسخر بالعامل الفاضل اناس لا خلاق لهم او يقصده بالاصرار من لا ذمة له ولكنهم بانفسهم يهزأون وبمصالحهم يضرون . ولا يطول عليهم الزمان في هذا العمى بل لا يلبثون اذا بدت الثمرة الشهية ان يهرعوا الاقتطافها و يطعموا من جناها ولا يسعهم بعد ذلك الا الحمد لغارس الشجرة وحافظ الثمرة وان كان دونهم في تلك الزخارف التي لا قيمة لها في نظر العاقل . ثم يكون عقابهم علَى ما فرط منهم ندم علَى الخطيئة واسف علَى السيئة والم في قلوبهم يهيجة ذكرى ما قدموا من سوء عملهم وانكشاف نقصهم

لدى وجدانهم . هكذا تمنح العناية الالهية هذه الكرامة لصاحب العمل الشريف ما دام حياً فاذا غابت شمسه عن افق هذا العالم لم تحجب اشعة ضيائه التي فاضت منه عَلَى نجوم هاديات و بدور منيرات * نعم انه يموت ويتوارى خلف حجاب العدم بجسمه ولكنه قائم في الافئدة شاهد على الالسنه حي يرزق عند ربه ونعمة الحياة حياته ولمثل هذا فليعمل العاملون

محمد نجيب الحسيني
الاسكندري

اسماعيل باشا

عظم عَلَى الخديوي السابق امر ما نزل بمصر وعز عليه اشتداد الازمة في داخليتها وعسر ماليتها واكتنافها بالفتن الخارجية وارتباكها في المشاكل السياسية فحن اليها (وله ان يحن) واراد ان لا يدع للانكليز موضعاً للتعلل (في تأمين الدين واطفاء الثورة) فاظهر من سريرته ما ذكرته جريدة الروبيليك فرانسز وهو انه يتبرع بالتزام اداء ما يطلبه حاملو الاوراق المصرية مع استعداده لان يقود جيشاً لمغالبة محمد احمد .

يقظة من سنة

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدا . ربنا اشرح صدورنا لما به خيرنا وخير اهل ملتنا اجمعين . اللهم انك تعلم خيرنا وفلاحنا في اجتماعنا

وائتلافنا وارتباطنا بعلائق ديننا واعتصامنا بحبلك المتين . اللهم كفر عنا سيئات التفريط فيما اوجبت علينا من ذلك بالهداية الى الانابة والاعانة عَلَى تلافي ما فرط والقيام بالمستطاع مما فرضت .

مضى زمان فرط فيه الهنديون عند تداخل الانكليز في شؤنهم فتدابروا وحول كل وجهه عن الاخر ولم يصغوا لدعوة الله في طلب الاعتصام بحبله فذاقو وبال امرهم وسقطوا جميعاً تحت سلطة الدولة الانكليزية وسادت عليهم واتخذت السادات منهم خدما لرجالها وخولا بعد ان كانت تدعي انها خادمة لهم امينة في الخدمة ولم يهن لها ان تكون سيدة عادلة بل تجاوزت فيهم حد العدل واستبدت عليهم ظالمة جائرة . فلما لفحتهم نيران القسوة اقبل بعضهم عَلَى بعض ونهضوا جميعاً للتملص من اغلال ظالميهم من نحو اربع وعشرين سنة الا ان اخوانهم الافغانيين والبلوجيين والايرانيين كانوا في غفوة عما نهضوا اليه ولم يمدوا لهم يد المساعدة بل كان الايرانيون في حرب مع الانكليز ولكن لم يواصلهم الهنديون ولم يرتبطوا بهم في التعاون عَلَى شانهم كما انهم لم يرتبطوا في ذلك مع العثمانيين فاهمال جيرانهم ورسوخ اقدام العدو بينهم كان سبباً في تغلب الظلمة الاغراب عليهم ولو عقل المهملون لعلموا ان العدو اذا تمكن في الهند قويت شوكته ثم كر عليهم واوقع بهم ما اوقع باخوانهم .

بعد هذا زخف العدو الغريب عَلَى بلوجستان واشتغل معها بالمنازلة وفرط الافغانيون والايرانيون في تعضيدهم فتم له بذلك ان يسود في جزء عظيم من اراضيهم ثم انقلب عَلَى الافغانيين وكانت بينه وبينهم حرب هائلة امتد زمنها نحو سنتين وما نبض في الهندبين عرق ولا امتد من الايرانيين ساعد ولا كانت بينهم وبين العثمانيين وصلة ولو كان لجميعهم بصر بالعاقبة لادركوا ان حياة كل منهم معقودة بحياة الاخرين بالغ الخصم في تطاوله حتى اعتدى عَلَى الممالك العثمانية بسوق جيوشه الى الاقطار المصرية التي هي اعظم ايالة من ايالات العثمانيين بل اهم اقطار المسلمين وهو الان في محاولة الاستيلاء عَلَى تلك البلاد والاستبداد بالحكم فيها غير مبال بحقوق الدولة العثمانيه ولا محترم ولايتها الشرعية . وكان

المسلمون لبداية الامر عَلَى مثل تفر يطهم السابق غير ملتفتين الى ما حل بهذا القطر الاسلامي العثماني ظنًا منهم ان العدو يصدق مرة في وعده او يخشى عاقبة السوء من طمعه فلما رأوه غريقًا في غيه متغلغلا في سيره مغرورا بقوته ناصبا لحبالته اهتزت رواسيهم وتحركت ثوابتهم وتنبهوا من سناتهم وندموا عَلَى ما سلف من سابق التفر يط واحسوا ان ما اصاب اليوم بعضهم فلا بد ان يمس يومًا جميعهم فصارت المسئلة المصرية سببًا في احياء الاخوة الدينية كما بشرتنا به الرسائل الواردة الينا من فارس والهند وافغانستان فلو تمادى الانكليز في حرصهم وحملهم الشره عَلَى غمط حقوق العثمانيين وثبتت الدولة العثمانية في المدافعة والمطالبة لوجد لها من المسلمين القادرين عَلَى نكاية الانكليز من يقوم بنصرها اداء لما اوجب الله عليه *

وانا بعد اداء الشكر لاولئك المومنين الصادقين عَلَى ما اظهروا من حميتهم الدينية التي اشارت اليها رسائلهم نرغب اليهم ان يحافظوا عَلَى وحدة العقيدة العامة وجامعة الشريعة الحقة وان لا يصغوا الى اصوات الغيلان التي تناديهم في الليالي المظلمة بما يحاكي اصوات الانس وانما هي اصوات مردة الشياطين يبتغون تفريق الكلمة وتشتيت الشمل واخماد الغيرة · ونسال الله تعالى ثباتًا للمسلمين عَلَى اصول الاتحاد وقواعد الالفة وان لا يميل بهم الهوى الى جعل الاختلاف في المسائل الثانوية سببًا في حل الجامعة الاسلامية التي قوامها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان لا يجعلوا هذا الخلاف ذريعة العدو الى محق ملتهم وافساد أولايتهم والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل ·

أسف

غالت نائبة الدهر طراز العرب وزهرة الادب صفينا اديب افندي اسحق · قضى نحبه في شرخ الشبوبية وعنفوان الفتوة وترك لنا قلوبًا آسفة وشؤونًا فائضة انا لله وانا اليه راجعون ·

حيلة انكليزية

ذكر كثير من الجرائد الهندية وفيها جريدة اخبار عام ان عدداً وافراً من الانكليز يدخلون في دين الاسلام لهذه الايام و كثرت الظنون في هذا العارض الجديد مع الاجماع على ان ليس الباعث عليه حسن العقيدة في هذا الدين والاذعان لاحكامه القدسية وانما القصد منه ان يخدعوا المسلمين بمشاكلتهم ليركنوا اليهم ويحسنوا الظن بهم فيبيحوا لهم بما تكنه صدورهم من خواطر الميل الى دعوة محمد احمد السوداني وهذا يدل عَلَى ان هذه الدعوة اخذت من قلوب الهنديين وعظمت منزلتها فيهم وتوقع الانكليز شرا من فشوها وامتداد شهرتها بين مسلمي الهند وطلبوا للاحتياط هذه الوسايل وقال بعض الجرايد ان الخشية من الاذعان لدعوة السوداني قد انضم اليها الرهبة من قرب الروسية لتخوم الهند فكان من مجموعهما فزع شديد حمل الانكليز عَلَى التودد للمسلمين والظهور في مظاهر العدول المنصفين بل الاصفياء المخلصين حتي ان الاخلاص والعدالة تحمل الكثير منهم عَلَى التدين بالدين الاسلامي ليملكوا بذلك قلوب السذج ويمحصوا بعض الصدور من الحقد عليهم ويتقوا به شراً عاجلا او اجلا ولكن الصيف ضيعت اللبن كان يمكن لهم ذلك بالاعتدال في السلطة والاخذ بشيء من

النصفة قبل اقتراب النكبة اما الان وقد اوغرت الصدور غلا ووقرت القلوب احقادا وتحقق عند الكافة من المسلمين بل وغيرهم من الهندبين ان الانكليز لهم في كل مصلحة مفسدة وفي كل حسنة سيئات وفي كل اخلاص دغل وفي كل صفاء دخل فهم الخادعون الخاينون بل هم الكاذبون المنافقون هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبة عند مسلم فلا تفيدهم الحيلة اذنى فايدة ولا تعود عليهم الا باسوء عايدة ولا ينالون منها الا وقوف المسلمين عَلَى غاية سيرهم عند عجزهم وازديادهم بصيرة في امرهم ويقينا بضعفهم حيث لم يبق لديهم من الوسايل الا خلع دينهم والدخول في دين المسلمين ارضاء لخواطرهم ولسنا في حاجة لتحذير المسلمين منهم فان لنا يقينا بانه لا يوجد مسلم في اقطار الهند جميعاً الا وهو عَلَى علم تام بما يريد به حاكموه من الانكليز فما هو بموَّمن لهم حتى ولو كانوا صادقين ٠

وداد الانكليز للمسلمين

يظهر من الرسائل والتلغرافات الواردة من القاهرة ان الانكليز وفقوا لالهاب حرب صليبيه بين الحبشة ومسلمي السودان والله يعلم ماذا تكون العاقبة اذا طار شررها ٠ ربما لا يوجد مسلم يعتقد بدين محمد الا ويسعى ببذل روحه وماله لاحباط اعمال الانكليز ورد كيدهم خصوصاً

مسلمي الهند المغرورين بخديعة حكامهم ودعواهم ان دولتهم نصيرة الاسلام وحليفة الدولة العثمانية فمما نقلته الاخبار بتاريخ ١٩ يونيوان من احكام الاتفاق الذي عقده الاميرال هفيت مع ملك الحبشة ان تكون مصوع مباحة لارساء المراكب الحبشية من ابتداء شهر سبتمبر فاما ان يكون هذابنزعها من ايدي المصريين بل العثمانيين بل المسلمين وجعلها بلداً انكليزية يبيحها الانكليز لمن شاءوا ويمنعونها من ارادوا واما ان يكون بتقديمها اقطاعا لملك الحبشة . ومن احكامه ان يأذن الملك للحامية المصرية ان يقيم حصونا عَلَى حدود مملكته حتى اذا هجم السودانيون عليها باعتبار انها حصون مصرية تذرع الملك لمواثبتهم بدعوى انها في حدود بلاده فتشب الحرب ويحمى وطيسها بين مسيحيي الحبش ومسلمي السودان ولما كان غرض الحكومة البريطانية ان تضم مصر وملحقاتها اليها كما يدل عليه اهتمامها بمد سكة الحديد بين سواكن وبربر اخذت عَلَى الملك عهداً بقبول ماتحكم به ملكة انكلترا عند عروض مشاكل بينه وبين الحكومة المصرية وان جرى الحكم عَلَى العرف ولم تلاحظ فيه الاصول السياسية هذه هي الدولة التي بلغ الخافقين صوت دعواها انها حامية الاسلام والمسلمين وظهيرة للعثمانيين فليعلم كل مسلم ان من نيتها انقراض هذا الدين واهله من وجه الارض وان لم يكن ذلك عليها بيسير

التهتك في الحيلة

اشترت دولة الانجليز بخلابة الشرقيين واخذهم بالرويغة حتى وضحت سبلها من كثرة ماطرقت وانقلب وجه الحيلة فظهر مستورها وعادت تشبه الهيات الصبيان والاعيب الاطفال يدرك سرها الذكي والغبي * من يوم كان اللورد فرين في القاهرة لكشف حالة مصر وتقرير نظام لحكومتها (كما يزعمون) لوح للحكومة بترك السودان ثم جاء بعده الماجور بارنج والزم الحكومة بالتنازل عن حقها فيه لانه يكلفها نفقات وافرة ليس لها عوض من الفايدة فامتثلت الحكومة امر غالبيها وهمت باخلائه ولم تلابس عملها حتى صدرت اوامر الدولة البريطانية بتعيين الجنرال كوردون للقيام بتخلية السودان فتكون المنة عَلَى السودانيين في استقلالهم (الموهوم) لدوله بريطانيا وتكون الصلة بينهم وبينها خاصة وما وصل خرطوم الا واقام محمد احمد اميرا عَلَى كوردفان واخذ في ارجاع الولايات السودانية لملوكها الاقدمين او ابنائهم * ولم يكن القصد من هذه الزغزغة الا ان يكون السودان بعد تنازل المصريين فراطة لاحق لاحد فيه فيأخذه السابق اليه بدون ان تعترض فيه المشاكل السياسية ليتيسر للانجليز عاجلا او اجلا ان يستولوا عليه وينزعوه من ايدي امرائه الصغار ويكون فيه بعض العوض عن مصر لو صدتهم مقاومات الدول عنها كما اشرنا الى ذلك في احد الاعداد وفي هذه الازمان الاخيرة اخرجت حكومة انكلترا من جرابها العوبة اخرى ومثلت من ضيق كوردون في خرطوم سبباً عظيماً لتمهيد

طريق يوصل الجيوش لتخليصه · فاصدرت اوامرها الى احد المصانع الكبيرة باعداد الالات وتعيين المهندسين والصناع ليسيروا الى سواحل البحر الاحمر و يباشروا مد سكة حديد من سواكن الى بربر كما ذكرت ذلك جريدة البال مال كازيت وتزعم ان لاباعث لها عَلَى ذلك الا الرغبة في تخليص كردون · ان كان كردون في خطر ويحتاج في انقاذه الى ارسال الجيوش فهل يبقى حيا الى ان تمد سكة الحديد وتخرق الجبال والاودية وتسير عليها العربات حاملة للجيوش مع ان الاخبار قد اشارت الى وقوعه اسيراً او هلاكه قتيلا * اذا فرضنا هلاك كردون (كما هو الغالب) او خلاصه فهل تهدم دولة انجلترا طريق الحديد وتنقض بناءها بعد انفاق النفقات الواسعة عليها او تتبرع بهبتها للحكومة المصرية سخاء وجوداً كلا والله لاهذا ولا ذاك ولكن اخذت اقرب الطريقين للأستيلاء عَلَى السودان فان مد الطريق الحديديه في تلك الجهة يسهل لها الولاية على السودان الشرقي فاذا استقر لها الامر فيه وصلته بالغربي ولم تلاق في ذلك صعوبة على انها في خلال المدة بعد مد السكة تستفيد اعظم فائدة جوهرية من مواصلة البلاد السودانية فانها تفتح للتجارة الانكليزية باباً وتغلق بصفته باب المنفعة عن مصر فتاتي بضائع البز ونحوها مما يحتاج اليه السودانيون من انكلترا الى سواكن ومن سواكن تذهب الى السودان بدون ان تصل الى ايدي المصريين وتنقل الاصناف التجارية السودانية من داخل السودان الى بربر ثم

تحمل الى سواكن وتصدر الى اوربا ولا يراها مصري . فاذا تولى الانكليز مصر (لا قدر الله) حرموا الوطنيين من الاشتراك معهم في تجارة السودان « وهي من اغزر ينابيع ثروتهم التجارية » واذا الجأتهم الحوادث للجلاء عنها فقد اختصوا بمادة المنفعة التي يمكن ان تاتي من اقطار السودان و بذلك تنقوض كثير من بيوت التجارة في الاقطار المصرية ويعدم بخرابها الاف مؤلفة من النفوس فليس حقيقة الغرض من مد سكة الحديد من سواكن الى بربر الا التوصل الى ينبوع متدفق من ينابيع الثروة المصرية وتحويل مجراه عن مصر الى جزائر بريطانيا وسنأتي على تفاصيل الخسائر التي تلم باهالي مصر من مد هذه السكة في عدد اخر

هذه احدى خيطئات الانكليز الذين بعد استيلائهم على الهند حظروا على الاهالي في جميع ممالكهم ان يعالجوا زراعة الاصناف التجارية كالنيلة ونحوها واختصت الحكومة الانكليزية بزراعتها وزادوا في المظلمة فحكموا على جميع الحكومات المستقلة التي يتولاها النوابون والرجوات ان لا تزرع الافيون بحجة ان الحكومة الهنديه الانكليزية تزرعه فلا يجوز لغيرها العمل في زراعته كيلا تقل الفائدة او لئلا يستفيد شيئاً مما تستفيد . هذه اثار جورها يثبتها خراب البيوت القديمة وفاقة العائلات الشريفة في كل بلد لها فيه امر ونهي ولا تزال ترد شرعتها هذه في كل قطر تطاؤه ارجل رجالها قريباً كان او بعيداً فعلى البصير ان ينظر وعلى اللبيب ان يحذر .

يوم الخميس في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ و١٤ اوغسطس سنة ١٨٨٤

باريس

نشرت الدعوات وطلبت الدول العظام لعقد مؤتمر في لوندرا بعد مفاوضات طويلة بين حكومتي فرانسا وانكلترا . ماذا كان المؤتمر وماذا نوت الحكومة الانكليزية بالدعوة اليه وماذا كانت تقصد الدول من وجود نوابها فيه واية غاية كان يطلبها خريت السياسة البرنس بسمارك . انعقد المؤتمر ثم صار عقيماً وبقيت تلك المقاصد مكنونة في صدور اربابها . كانت حكومة انكلترا تطمح للاستيلاء عَلَى مصر باسم امير مصري وحالت دون مطمحها المصاعب ازماناً حتى سنحت لها الفرصة المشومة بتشويه وجه الحركة العرابية فتيسر لها بتلك الحركة ارضاء الدول واستئذان الدولة العثمانية بالتداخل في توقيفها فسهل لها دخول مصر عَلَى نية ان لا تخرج . وهل يمج الظمأن بارد الزلال من فيه . ظنت انها ملكت ارض مصر ووجدت عليها ديناً ثقيلاً فرغبت تخفيفه لانها ترى ما ينفق من خزانة مصر انما ينقص من خزائن انكلترا ولم تقصد بتخفيفه رحمة الفلاحين ولم يبعثها عليه الشفقة على المصريين وعميت بصيرة من ظن بحكومة انكلترا قصد المرحمة في هذا او في غيره من الاعمال .

قصدت تعمية الامر عَلَى الدول لتنال منهم تصديقاً على اعمالها فيتسع لها المجال فيما بعد و بدأت باستمالة فرنسا وعقدت معها اتفاقاً يوطن نفوس السياسيين عَلَى الرضاء بما تريد ثم انشا السير بارنج لائحة للمالية اثبت فيها عجز مصر عن ادآء ديونها · الا ان رجال الدول كانوا احذق من ان ينخدعوا لعلمهم ان وادي النيل احوج الى العدالة وحسن الادارة من تخفيف الدين · لم يخف عَلَى السياسيين ان مصر لو سلمت ادارتها لحاكم نافذ الكلمة قوي العزيمة واسع الخبرة باحوال البلاد لو سعت قدرتها اداء ما عليها بل وما يزيد عليه · وان كان يثقل عَلَى دولة تجاريه · قررت في الاتفاق الفرنساوي اطالة مدة حلولها العسكري الى ثلاث سنوات ونصف ثم تخرج عَلَى شرط اتفاق جميع الدول على خروجها فعلقته بما يشبه المحال لتسهل عليها المراوبة ولكن لم يذهب على رجال السياسة في سائر الدول ان بقاء انكلترا في مصر لا يزيدها الا خراباً ·

لما انعقد المؤتمر كشف موسيو دبلنيير الفرنساوي ما في لائحة بارنج من الاغلاط فشرعت انكلترا في تهديد فرنسا بالميل الى المانيا · الا ان السفير الالماني وهو تلميذ البرنس بسمارك ولا يعمل الا باشارته كان اميل الى فرنسا فان سياسة البرنس مبنيه عَلَى التفريق بين فرنسا وانكلترا (وقد حصل) فحصل الياس لحكومة انكلترا من تخفيف النفقة عن الملك التي زعمت انها ملكته فحلت المؤتمر او انحل بطبعه ·

وصارت الدول الاوربية في جهة وانكلترا وحدها في جهة اخرى . ولم يكن من راي الدول ان يقعوا آلة بيد انكلترا تستعملهم في قضاء اوطارها فطاشت جرائد الانكليز غضباً عَلَى المانيا واخذت تذكرها باستيلاءها عَلَى الالزاس واللورين انما كان بمساعدة انكلترا المعنوية وهاجت جرائد النمساوية والالمانية وصالت بالطعن والتجريح في السياسة الانكليزية واتفقت حكومة المانيا والنمسا عَلَى الزام انكلترا بتحديد اجل لدفع الخسائر التي نشأت عن ضرب اسكندرية .

الحكومة الانكليزية في رجفة شديدة وخيفة من سوء العاقبة الا انها عَلَى عادتها تظهر الاقدام وتنطق بالحماس وتوهم انها غنية عن العالمين . عمدت الى الاستقلال بتدويخ مصر وتقرير سلطتها فيها واخماد فتنة السودان وظنت انها قادرة عَلَى كل ذلك فجهزت القواد وعينت اللورد نور ثبروك اعدى اعداء المسلمين ومخرب بيوت الشرقيين ليتولى العمل لدولته في القطر المصري . ولكن هيهات هيهات . نترك الان بيان ما يترتب عَلَى انفراد الانكليز عن سائر الدول في امر مصر الى عدد اخر ونقدم كشفاً لجوهر حالهم العامة .

اولاً ان الانكليز عَلَى عادتهم المالوفة اذا قصدوا الاستيلاء على قطر لا يصرحون بقصدهم حتى يتمكنوا فيه ولا يبقى لهم منازع لا في الداخل ولا في الخارج فلو فرضنا ان المصريين والدول اجمعين اتفقوا الان وطلبوا من انكلترا ان تعلن بتملكها لمصر لامتنعت الحكومة

الانكليزية واظهرت العفة والقناعة ولظهر المستر غلادستون في دلوق الزهاد ولصاح رجال الانكليز من جميع الاحزاب نستغفر الله لا نريد سوى اصلاح البلاد وتوفير خيراتها وتحت هذا الحجاب يتصرفون تصرف الملاك يختصون بالوظائف العالية ويديرون حكومة البلاد على رغبتهم وينقلون ثروتها الى جزيرتهم ويمزقونها قطعاً يهبون منها مالا يهمهم لاعداء البلاد ليعينوهم عَلَى تذليلها واستعبادها.

وثانياً ان حكومة الانكليز من اضعف الحكومات في القوة العسكرية البرية واحد سلاحها التهديد واكبر قوتها التهويل ووضع الامور الصغيرة تحت النظارات المعظمة لترهب بذلك كل جاهل وتخيف كل غبي. لهذا لا تتمكن بدسائسها في قطر الا عند سكون اهاليه فاذا نبذ الاهالي طاعتها وعارضوها في اعمالها سترت ضعفها بترك البلاد لاهلها. فان مقاومة الاهالي اشد باضعاف مضاعفة من القوى العسكرية المجتمعة في اماكن مخصوصة تحت قيادة روساء معينين تنهزم بانهزامهم وما جرى لحكومة انكلترا مع الافغانيين اعظم شاهد عَلَى ما نقول دخلت الحكومة الانكليزية ارض الافغان بستين الف عسكري واستولت عَلَى المدن وكاد قدمها يرسخ في البلاد فلما قام الاهالي من كل صقع والتحمت المقاتل في جميع انحاء افغانستان عجز الستون الفاً عن الوقوف موقف الدفاع واضطرت حكومة انكلترا بعد تسلطها سنتين وبعد صرف ثلاثين مليون جنيه استرليني ان تطلب الامير

عبد الرحمن خان من مضيف الروسية بعد ما اقام عند الروسيين اثنتي عشرة سنة معززاً مكرماً وان تقدم له اربعة ملايين من الجنيهات لينفقها في ادارة بلاده وتركت له البلاد وولت . حكومة الانكليز انما تخضع للضرورة وللضرورة احكام * فعلى قبائل العرب في مصر ومشائخها ان يتذكروا شهامتهم العربية وحميتهم الدينية ويقتدوا بالافغانيين لينقذوا بلادهم من ايدي اعدائهم الاجانب الذين لو تمكنوا في البلاد لمحقوهم واذلوهم وليس من الفتنة ان ندعوهم الى طلب الحقوق والدفاع عن الدين والوطن كما يظن بعض المتطفلين على موائد السياسة فانما ننادي عَلَى صاحب البيت ان يدافع عن حريمه وماله وشرفه وان يخرج مخالب عدوه من احشائه وهي سنة جرى عليها دعاة الحق في كل امة وتاريخ اوربا القديم والحديث وتواريخ الامم الشرقية اولها وآخرها تنطق بصدق ما نقول * وعَلَى المصريين عموماً والفلاحين خصوصاً ان يجمعوا امرهم عَلَى ان يمنعوا الحكومة كل ما تطلب منهم وان يرفعوا اصواتهم بنداء واحد قائلين لا نطيع الا حاكماً وطنياً مسلماً نافذ الكلمة حازم الرأي قادراً عَلَى ادارة البلاد بقوة وطنية وليستصرخوا في ذلك جميع الدول ويبرهنوا عَلَى قدرتهم ويقيموا الادلة عَلَى ان مصلحة الدائنين لا يمكن حفظها الا باجابة طلبهم فان فعلوا هذا وجدوا لهم من الدول انصاراً بل ومن الجنس الانكليزي نفسه .

عَلَى الدولة العثمانية ان تتذكر انه لولا فرمانها بعصيان عرابي لما

سهل للانكليز ان يدخلوا ارض مصر ولا اصابوا هذه الغنيمة باردة فلتنظر الى قوتها ونفوذها وتلاحظ ان الحل على من عقد والعقد على من حل ولا تنس ان مصر حبكة الممالك العثمانية كما بيناه مراراً ولا تغفل عن النمسا وشرهها والروسيا وطمعها وفرانسا وآمالها. فمن الامور الطبيعية ان المنافسة او الموازنة تدعو الاقران الى التسابق في الاطماع . واذا فرط متساهل في اهل ملته فان يجد منهم فيما بعد عوناً . لو تحرك العثمانيون لرأوا عوناً من جميع المسلمين خصوصاً وقد حصلت كدورة بين امارة الافغان وحكومة الانكليز بل نكرر ما قلنا مراراً من ان نفوذ العثمانيين في الهند يمنع الانكليز من الجهر بعداوتهم البتة فهذه فرصة الاقدام فان ولت الفرصة فربما يصعب التلافي ولا يبقى الا الندم حيث لا ينفع الندم وفق الله الدولة العثمانية الى ما فيه خيرها وخير المسلمين وبصرها بالرشد وكفاها شرور المفسدين.

تنبيه

طلب الينا احد الاعاظم من ذوي الحل والعقد في المسلمين ان ننشر الجملة الآتية بنصها فها هي :

﴿ وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين ﴾
﴿ كفروا بعذاب اليم ﴾

ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه ملعون من يبيع اهل ملته بحطام يلتذ

به ملعون من يمكن الاجانب من دياره محروم من شرف الملة الحنيفيـة من يعظم الصغير و يصغر العظيم و يمهد الطرق لخفض كلمته واعلاء كلمة الاغراب ملعون من يختلج في صدره ان يلحق عاراً بامته ليتمم ناقصاً من لذته عجباً عجباً · لا حول ولا قوة الا بالله · هل صحيح ان خمسة ملايين سابقة وخمسة ملايين لاحقة تمكن الاجانب من مصر وهي مفتاح الحجاز و باب الاقطار الشامية · هيهات هيهات · ايظن مريض القلب ان يترك حتى يأتي هذا المنكر ايظن انه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يداه ايتوهم انه يبقى حياً عَلَى وجه الارض وفيها مسلم لا اظن ان يكون له حظ من البقاء ولو كان في ابراج من الفولاذ اه

وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون

ان الامة التي ليس لها في شؤنها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا اثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام · يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت عَلَى حال واحد ولا ينضبط لها سير فتعتورها السعادة والشقاء و يتداولها العلم والجهل و يتبادل عليهـا الغنى والفقر و يتناوبها العز والذل وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم · فان كان حاكمها عالماً حازماً اصيل الراي علي الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيهـا منار العلم

ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابواباً للتفنن في الصنائع واحذق في جميع لوازم الحياة و بعث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم عَلَى التحلي بالمزايا الشريفة من الشجاعة والشهامة واباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطا لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير وان كان حاكمها جاهلاً دنيء الطبع سافل الهمة شرهاً مغتلماً جباناً ضعيف الراي احمق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة اسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابواباً للعدوان فيتغلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة و يغلب الناس فتمتد اليها انظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في احشاء الامه ·

عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها واراد الله بها خيرا اجتمع اهل الراي وارباب الهمة من افرادها وتعاونوا عَلَى اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل ان تنثر الرياح بزورها واجزاءها السامة القاتلة بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج · وبادروا الى قطع هذا العضو المجذم قبل ان يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وجدودوا لهم بنية صحيحة سالمة من الافات

« استبدلوا الخبيث بالطيب » وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤنها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء فانذرها بمضض العبودية وعناء الذلة ووصمة العار بين الامم جزاء على مافرطوا في امورهم وما ربك بظلام للعبيد

توفيق باشا

يتوكا الانكليز عَلَى توفيق باشا في حركتهم بمصر ويتخذونه آلة لتخريب بلاده وهدم ملكه وما يكون من شر ينسبونه اليه وما عساه يوجد من خير يصلون نسبته بهم ويردونه الى انفسهم وفيما بين ذلك يبغضون اليه الولاية الاسلامية ويحببون اليه اغفال الاصول الدينية وهو يميل معهم ويمدهم في مقاصدهم ويطوع البلاد لهم بما بقي له من السلطة الصورية كما يتظاهر بالتدين والمحافظة عَلَى الصلوات فان كان باطنه يطابق ظاهره وكان معتقدا بدين الاسلام فعليه ان يتنحى عن الامر ويترك الملك لمن يستطيع انقاذه مما هو فيه فتبرأ ذمته من العار الذي يلحقه ويلحق بيت محمد على من تصرفه فان لم يكن هذا فعليه ان يجهر بعقيدته ويقاوم الانكليز بما في جهده ويموت شهيداً في سبيل دينه ووطنه والا فليس يعفى عنه من الله شيئاً ان يظهر عند اهل خاصته وحاشيته انه ناقم عَلَى الانكليز كاره لوجودهم في بلاد مصر ويود لو يخرجون كما انبأتنا به الاخبار الخصوصية من القطر المصري

اذا تمادى توفيق باشا في سيره الملتوي فعلى المصريين ان لا يقعوا صيدا في يد الانكليز بهذه الحبالة البالية وهذا الفخ الواهن ولينظروا في شونهم وما توجبه عليهم فروض دينهم والا فما الله بغافل عنهم

هولاء رجال الانكليز وهذه افكارهم

تأخر صدور الجريدة اياما لضرورة ما مسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة ردآءة الهواء في البلاد الفرنساوية هـذه الايام · والحمد لله عَلَى زوال المانع · الا اننا مع ذلك لم نقصر في اداء الواجب من العمل الذي قمنا به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجو ديان السموات والارض ان نموت في هذه السبيل وان نبعث في زمرة السالكين فيها ·

رأينا ان يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة) الى لوندرا اجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لمتنا ومن يومل فيهم صدق النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية · وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التى ما مرت قدم شرقي الا سقطت منها فيما يعسر الخلاص منهُ وليسبر اغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهاها · تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا في قرم شديد لابتلاع ممالك العالم وكلما اساغوا قطراً طلبوا اليه اخر · وليستطلع خفايا المقاصد من اثناء الافكار وغضون الاقوال وليقف عَلَى الطرق المالوفة بين اولئك

السياسيين في التلو ين و يتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار السيئات في الوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص كيلا يغتر الجاهل ولا يزل العالم ·

لاقى (محرر الجريدة) كثيراً من رجال السياسة الانكليزية وانفذ الناس رايًا فيها وقد جرت بينه و بينهم محادثات طو يلة في الاحوال المصر ية ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة البال مال كازيت وجريدة التروث التي يحررها النائب الشهير مستر لابوشير وجريدة التيمس وسيذكر شيء مما جرى بينه و بين بعض الاكابر من رجال الحكومة مما يستفيد منه الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً وستأتي جريدتنا عَلَى بعض ما استنبطه من فحوى اقوالهم وأدركه من مرامي افكارهم · اما الان فنأتي عَلَى جملة واحدة من محادثة طو يلة كانت بينه و بين اللرد (هرتنكتون) وزير الحربية الانكليزية لياخذ كل مصري منها حظه و يصيب كل شرقي سهمه و يقف جميعهم على مواقع الشرقيين من انظار الحكومة الانكليزية

سال اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية · الا يرضى المصريون ان يكونوا في امن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية والا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الاتراك وفلان باشا وفلان باشا· فاجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا ان المصريين قوم عرب